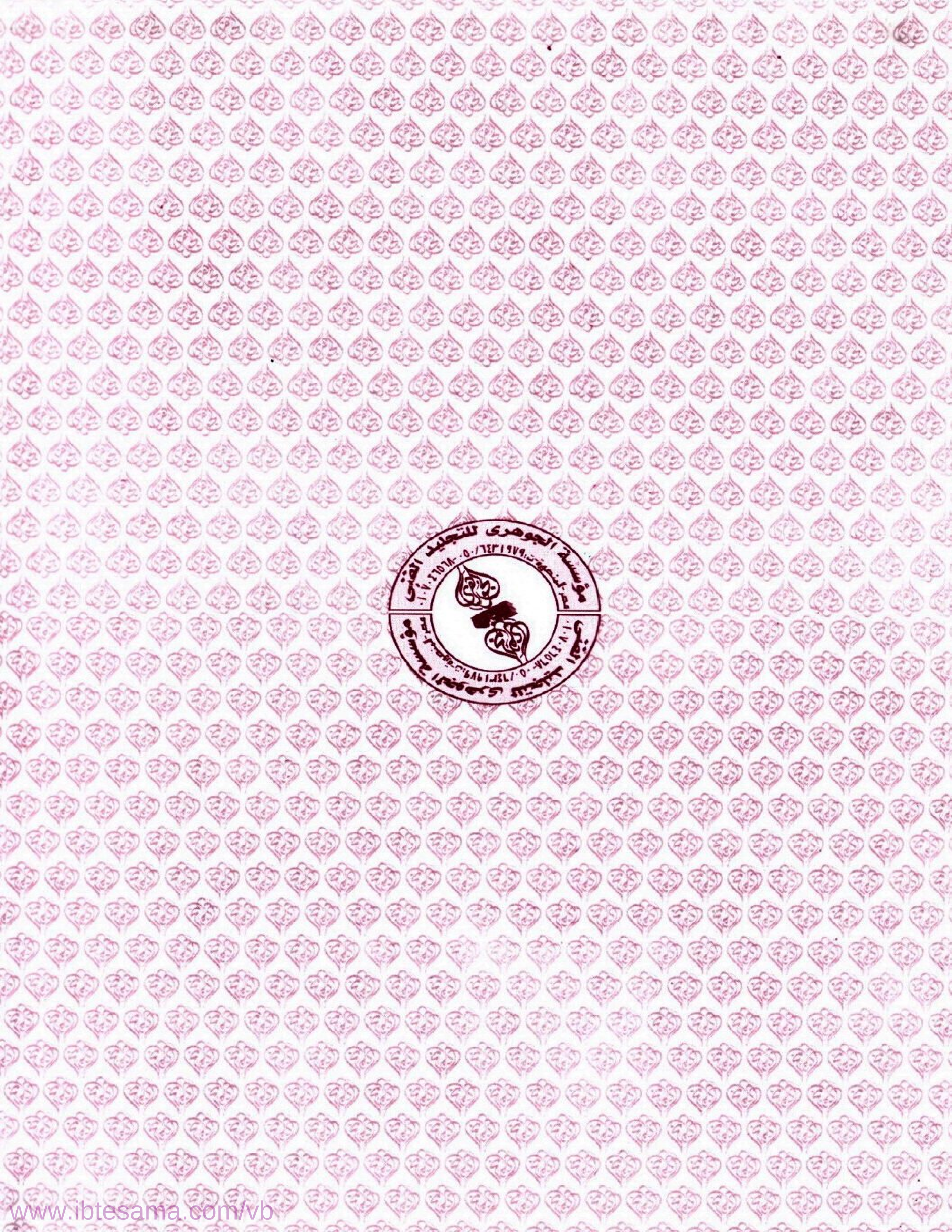
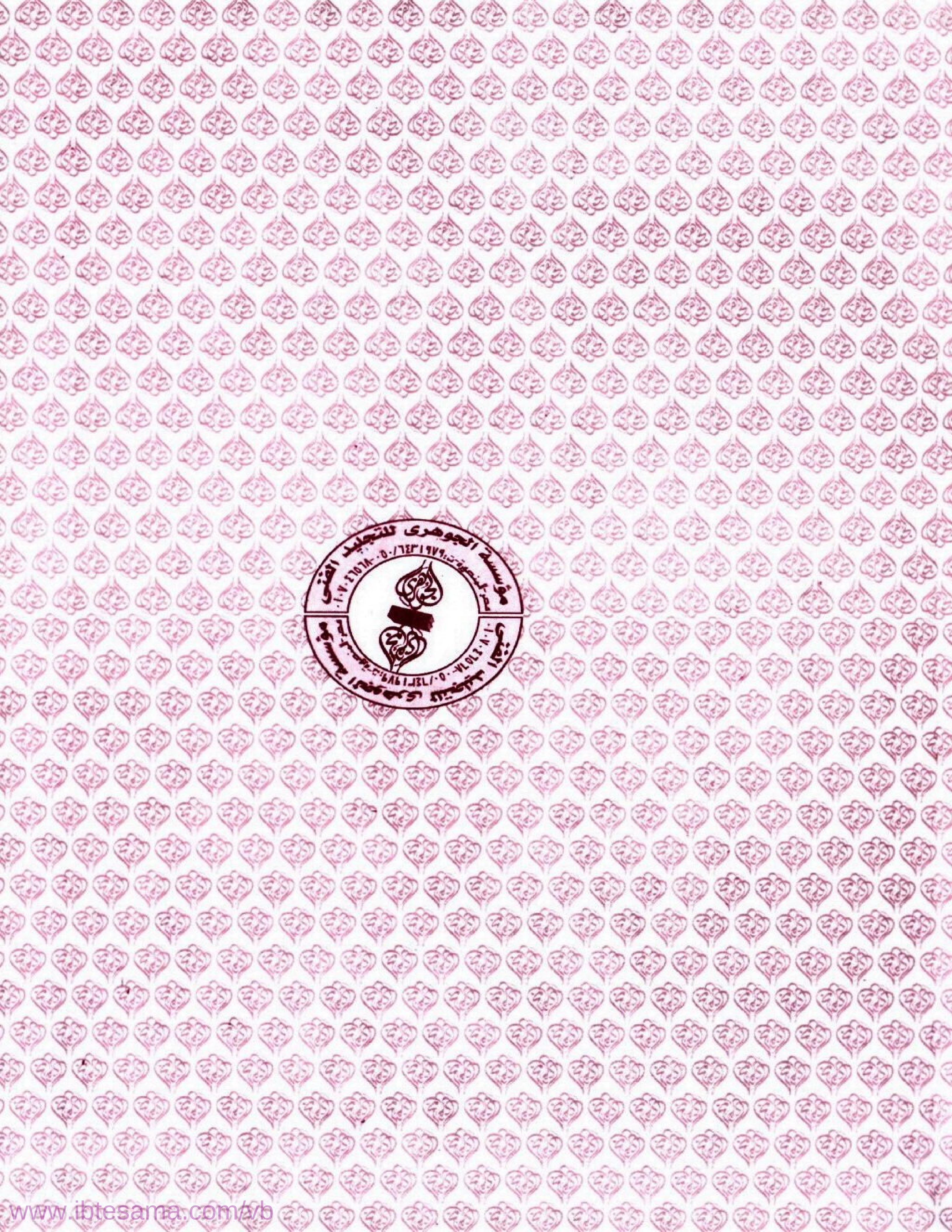


www.ibtesama.com/vb
أجيال
AJIAL
الحياة
رقعة
شطرنج
كريم
الشاذلي
** معرفتي **
www.ibtesama.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
Life is a
Checker

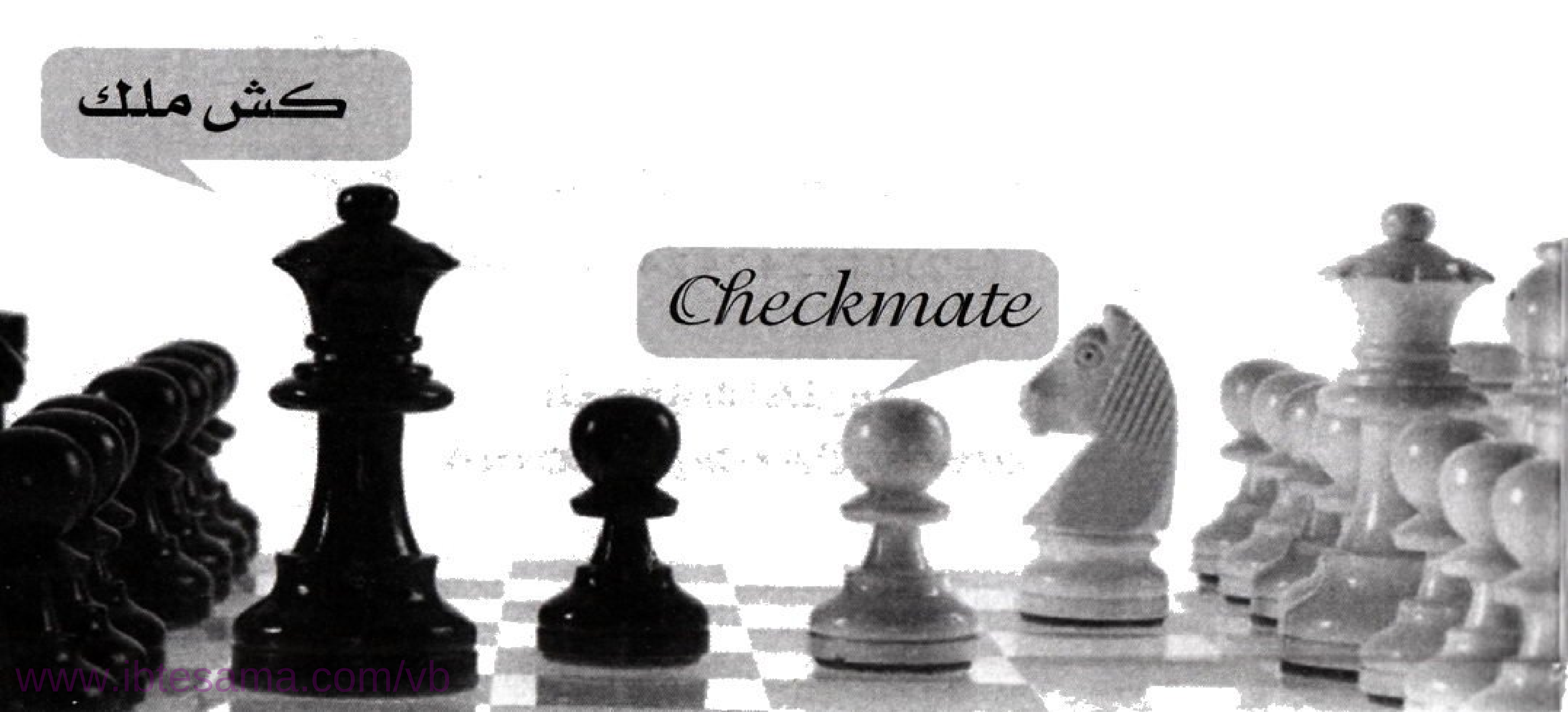

مؤسسة الجوهري للتجليد الفني


مؤسسة الجوهرى للتجليد الفنى

الحياةُ رقعة شطرنج

الحياةُ رقعة شطرنج

كريم الشاذلي



رقم الإيداع 2012/22643
ISBN 978-977-6277-53-3

أبراج المهندسين - كورنيش المعادى - القاهرة
هاتف : 01224242437(2+)

الموقع الإلكترونى
www.dar-ajial.com

فهرس المحتويات



الحياة رقعة شطرنج.. هذا كتاب مريح للنفس المتعبة المكدودة، يحمل للناس الأمل والبُشري ويملأ قلوبهم بالصفاء والإقبال علي الحياة بنفوس راضية مرضية.

لست من عشاق كتب التنمية البشرية التي تلعب علي أطماع البشر وتستثير هممهم من خلال تقديم النماذج الناجحة من بين الذين تحينوا الفرص واهتبلوها لتحقيق الفوز علي حساب الضعفاء والبؤساء، أو أولئك الذين سعوا لتنمية مهاراتهم الحياتية بمعزل عن السمو الروحي ورفعة النفوس.

كريم الشاذلي واحد من قلائل يكتبون فيخاطبون القلب والعقل ويمازجون بين أهمية النجاح في الدنيا والفوز بها، مع الخروج منها دون جروح إنسانية ألحقناها بالآخرين.. وهو في هذا يتمثل السير العطرة للأنبياء والرسل والمصلحين العظام الذين مروا علي الحياة فتركوا عطراً إنسانياً نتشمم آثاره فيمنحنا القدرة علي مواصلة المشوار.

في هذا الكتاب ألمح آثاراً من «**باولو كويلو**» وكتاباته الداعمة للروح، وأري أن كاتبه الشاب كريم الشاذلي قد خط لنفسه طريقاً خاصا به في سوق يمتليء بالأدعياء والمزيفين.

أسامة غريب
كاتب وروائي مصري

وزير أم غفير

الحياة رقعة شطرنج... عبارة طالما ردّدتها، فى كثير من اللقاءات الصحفية



والتليفزيونية، تعليقاً على بعض التصرّفات والتطوّرات، التى تحدث من حولنا والتى يغلب عليها الانفعال ونفاذ الصبر، بأكثر مما يغلب عليها العقل، وتنتصر لها الحكمة...

فبعد عقود من دراسة أعمال وعمليات أجهزة المخابرات عبر التاريخ، وبعد دراسة طويلة وعميقة، لكل النجاحات والإخفاقات، فى عالم السياسة، وفى ميادين الحروب، وحتى فى الحياة العادية، أدركت أن الانفعال، وترك النفس للهوى والمشاعر، هى السبيل الأساسى للفشل، وليس للنجاح، كما قد يتصوّر البعض؛ فالانفعال يجعل نظرتك للأمور محدودة ناقصة، أنبوبية الرؤية، فلا ترصد إلا ماتريد، وما يتناسب مع انفعالاتك ورؤيتك، التى تحكمها مشاعرك ويغيب عنها عقلك ...



وقديماً... قديماً جداً، وفى القرن السادس قبل الميلادى، كتب (صن تزو) القائد العسكرى الصينى، صاحب كتاب (فن الحرب)، الذى يعد، وحتى لحظة كتابة هذه السطور، دستور القادة العسكريين، فى كل أنحاء العالم ... كتب يقول: «لو أن خصمك شديد الانفعال، تثير أعصابه أمور خاصة، مثل الشرف أو العقيدة أو العصبية، احرص على إثارة انفعاله؛ حتى يفقد وضوح الرؤية فتقوده فى سهولة، إلى الفخ الذى أعددته له»....

وكم كان (صن تزو) حكيماً فى كتابته هذه؛ فالانفعال، الذى لا يستند إلى العقل، يجعلك أسهل وقوعاً فى الفخ، ويدفعك دفعاً إلى خسارة معاركك، سواء على المدى القريب أو البعيد ....

هذا لأن العالم بالفعل رقعة شطرنج، لا يفوز فيها الأكثر حماساً، ولا الأكثر انفعالاً، ولا الأكثر نبلاً، ولا حتى الأكثر إيماناً ...

والمتابع والقارئ للتاريخ، يمكنه أن يدرك، وفى سهولة هذه الحقيقة ...

فالفائز فى كل المعارك، هو دوماً الأكثر براعة ...

فقط الأكثر براعة ...

تماماً مثل رقعة الشطرنج... يربحها دوماً الأذكى، الذى استطاع حجب انفعالاته، وأفسح كل المجال لعقله ودقّته وبراعته...

و(كريم الشاذلى فى هذا الكتاب، لا يكتفى بإثبات هذه القاعدة، على نحو

غير مباشر، ولكنه يبحر بك أيضاً، فى بحر ممتع من التحليل التاريخى والنفسى والعملى، لكثير مما يثبت أن الحياة بالفعل هى رقعة شطرنج كبيرة، وكلنا عليها إما وزير، يملك حرية الحركة، وقوة المواجهة والتأثير، أو غفير (عسكرى) صغير، لايمكنه القيام إلا بخطوة واحدة، تمهّد الطريق لباقى القطع، ويأمل طوال الوقت فى النجاح فى الوصول إلى خط النهاية؛ حتى يترقّى إلى قطعة أفضل وأقوى وأكثر تأثيراً ...

وبعد رحلة ممتعة مع كتاب الصديق الجميل (كريم الشاذلى)، ستجد أنك وعلى الرغم منك ستتساءل، مع آخر صفحاته : **ماموقعك بالضبط على رقعة شطرنج العالم ؟!..**

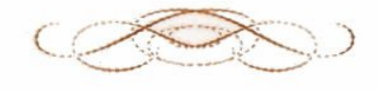
رابح أم خاسر ؟!...

وزير ...

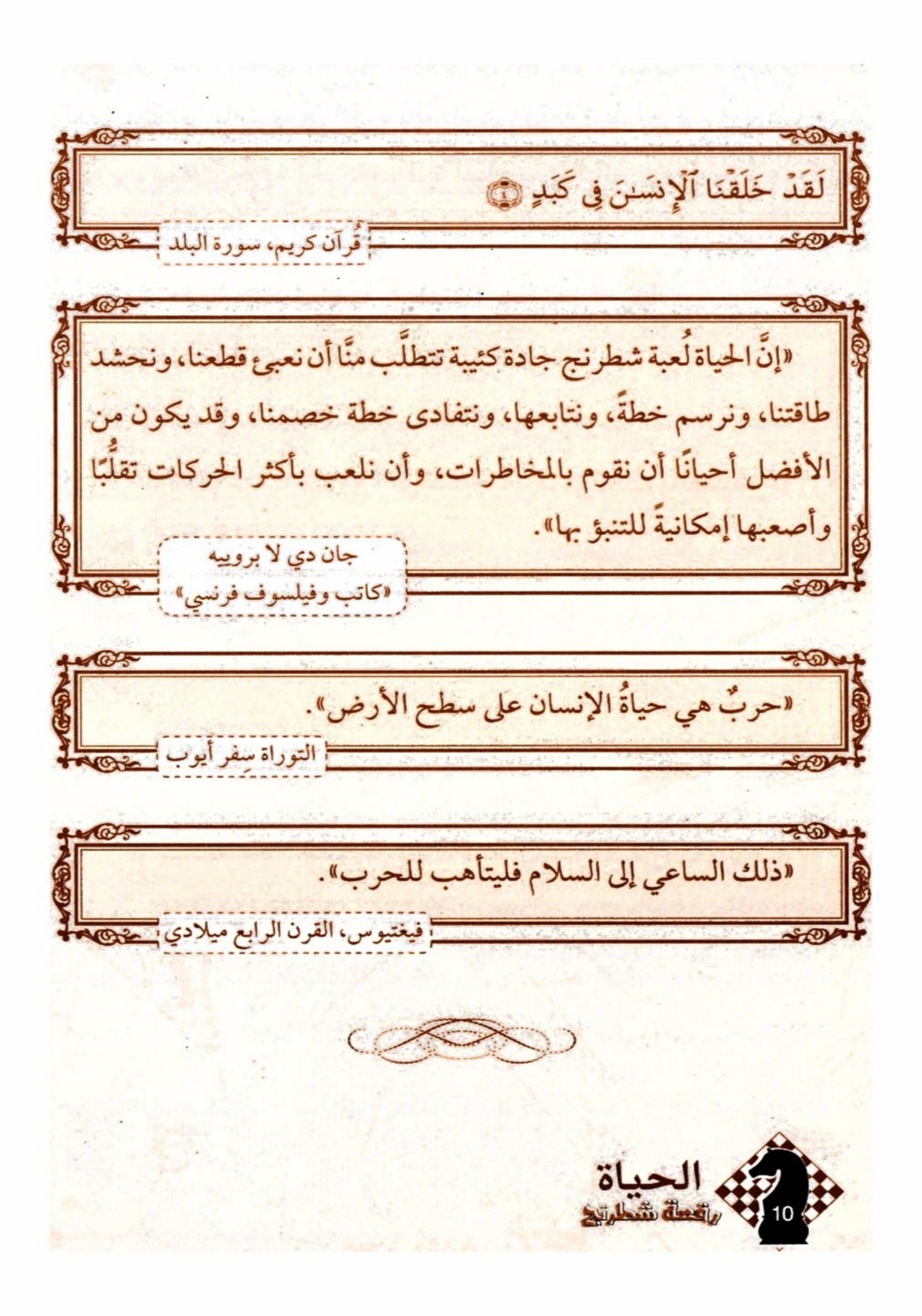
أم غفير ؟!.

د. نبيل فاروق

كاتب وروائي، وهو رائد أدب الجاسوسية والمخابرات في الشرق الأوسط.







﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾﴾

قُرآن كريم، سورة البلد

«إنَّ الحياة لُعبة شطرنج جادة كئيبة تتطلَّب منَّا أن نعبئ قطعنا، ونحشد طاقتنا، ونرسم خطةً، ونتابعها، ونتفادى خطة خصمنا، وقد يكون من الأفضل أحيانًا أن نقوم بالمخاطرات، وأن نلعب بأكثر الحركات تقلُّبًا وأصعبها إمكانيةً للتنبؤ بها».

جان دي لا بروييه
«كاتب وفيلسوف فرنسي»

«حربٌ هي حياةُ الإنسان على سطح الأرض».

التوراة سِفر أيوب

«ذلك الساعي إلى السلام فليتأهب للحرب».

فيغتيوس، القرن الرابع ميلادي



تحكي الأسطورة أنه كان في بلاد الفُرس ملك مهيب وكانت للملك أسرة يحبها كثيرًا، تتكون من زوجة جميلة تُدعَى «براندخت»، وطفل صغير يُدعَى «جيف»، وأخ يُعينه على مهام الحُكم يُدعَى «ماي».

كان الملك شغوفًا بالصيد، وفي رحلة من رحلاته خارج المملكة وقع الملك من على فرسه ولم يستطع الجنود أن يُسعفوه فمات من فوره، ورغم حالة الحزن والحداد التي عمَّت البلاد إلا أن قوانين المملكة دفعت بالأخ على كرسي السُّلطة والذي رأى أن يتزوج من أرملة أخيه وفاءً له وإكرامًا لها.

وفعلًا تم الزواج، وبعد عام أنجبت الملكة أخًا لطفلها الأول وأسمته «**تالند**» كان الملك «**ماي**» كأخيه مُحِبًّا لشعبه، وكان يجزل لهم في العطايا، مما جعل المملكة تدعو لملكها الراحل وتستبشر خيرًا بملكها الحالي.

لكن الرياح كعادتها أتت بما لا تشتهي السُّفن، فقد مات الملك «**ماي**»



وترك المملكة كي تُديرها أرملته ومعها طفلاها الصغيران «**جيف**» و«**تالند**» حزنت المملكة كثيرًا، لكن الأمور لا تقف حزنًا على أحد، واستطاعت الملكة أن تنحِّي حزنها جانبًا وتدير أمور المملكة على خير ما يُرام...



بيد أن سؤالًا ظهر على السطح بقوة، وشغل بال المملكة كلها، تُرى مَن مِن الأبناء سيكون وريثًا للعرش!

ذهب البعض إلى أن «جيف» هو الأحق لأنه الأكبر سنًّا بينما ذهب البعض الآخر إلى أن «تالند» هو الأحق حيث إنه ابن آخر الملوك وهو الأحق بالمُلك.

كانت الملكة «**براندخت**» تُدرك أن الاختيار صعب، وأن عليها وحدها عبء فض هذا الإشكال، لكنها أرجأت البتَّ فيه إلى حين، فما دام الأبناء صغارًا فلا داعي لنصنع ما يمكن أن يفرِّق بينهما أو يوغر الصدور، هكذا رأت الملكة.

ومرَّت الأيام سريعًا، كبر الولدان، وصار لكل واحد منهما أصدقاء وندماء وأتباع، وصار أتباع كل واحد منهما يغذون لدى حليفهم أنه الأحق بالمُلك من أخيه، ولا يجب أن يتزحزح عن ذلك أبدًا.

في ذلك الوقت رأى حكماء ووزراء المملكة أنه يتوجَّب على الملكة أن تحدِّد من هو الملك من بين ولديها، لكن الملكة التي طالما أدهشتهم بقوتها لم تستطع أن تأخذ قرارًا كهذا، بدت وكأن مشاعر الأمومة لديها باتت أقوى من أي شيء آخر...

وأمام هذا التخبُّط والتشويش في الرؤية انقسمت القوى والموازين إلى قسمين، بل انقسم الجيش نفسه إلى مؤيد «**الجيف**» يأتمر بأمره، وآخر يتبع «**تالند**» ويُقسم له بالولاء.

وبدت في الأفق بوادر حرب أهلية دامية، وصارت المواجهة مسألة وقت.

وفعلا تحققت أسوأ كوابيس المملكة، «**جيف**» و«**تالند**» قررا أن يتواجها لحسم مسألة العرش.

كانت لدى كلٍّ منهما قوة مُساوية لقوة الآخر، أعداد الجنود متقاربة، وكذلك الخيول، وأيضًا الفيلة والتي كانت تحمل الأبراج التي ترمى من عاليها السهام المشتعلة.

وتحرك الجيشان، دارت رحى الحرب لتحصد من الجنود الشيء الكثير وهنا ظهر أمر غريب، لم يُرد أيٌّ من الأخوين أن يقتل أخاه، لقد أمر كل واحد منهما قوَّاده أن يصرخوا عندما يقتربوا من موضع الأخ الآخر وأن ينبهوه قائلين «**احترس**»، فيقوم الأخ المُحاصَر بتغطية نفسه والاحتماء منهم!

ظهر جليًّا أن الطمع لم يقطع كل حبال الأخوة، وأن هناك ثمة خيطًا رفيعًا يُمكن أن يُنهي هذا العبث.

كانت الغلبة لجنود «**جيف**» والذين حاصروا «**تالند**» بشكل حاسم، وقبل أن يرسل «**جيف**» إلى أخيه يطالبه بالاستسلام، كان «**تالند**» يدور كالمجنون محاولًا إيجاد ثغرة ينفُذ منها.



وعندما دخل عليه جنود أخيه وجدوه جثة هامدة، ولم يعرفوا هل مات كمدًا وفجيعةً أم أنه أنهى حياته بيديه.

كانت الأم في ذلك الوقت تُراقب ما يجري من فوق تبة عالية وقلبها يذرف في لوعة، كانت تعلم جيدًا أنها ستخسر أحد أبنائها في تلك الفتنة، لقد تشتت هواها بين الاثنين، وحينما جاءها خبر تالند، سقطت من فورها مغشيًّا عليها.

وعندما أفاقت وجدت أمامها «**جيف**» مُلتاعًا، فصرخت فيه قائلةً: **كيف حملك ضميرك على قتل أخيك؟**

فنظر لها وقد كست الدموع وجهه قائلًا: لم أقتله، ما كان لي أن أفعل، ولا حتى أحد من جيشي، صدقيني ما كنت لأقتل «**تالند**» أخي.

بدا على الأم أنها غير مُصدقة، فوعدها «**جيف**» أنه سيُثبت لها!

كان حزن «**جيف**» على موت أخيه كبيرًا، فبرغم التنافس الدامي بينهما إلا أنه لم يستطع أن ينسى أن «**تالند**» هو أخوه الوحيد، وشريكه في كل اللحظات الجميلة التي مرَّت به في حياته، المشكلة الآن أنه صار مُحمَّلًا بعبء تبرئة نفسه من قتل أخيه أمام أمه.

فكَّر «**جيف**» طويلًا قبل أن يهتدي إلى فكرة يمكنه أن يشرح من خلالها للأم كيف مات «**تالند**» وحده.

أرسل «**جيف**» للنجار أن يصنع له رقعةً كبيرةً، ثم يضع فوقها أشكالًا مختلفة تمثِّل الجنود، والفيلة، والأحصنة، وكذلك الملك، كانت أوامره أن يصنع



أشكالًا متساوية بلونين مختلفين، وبالفعل صنع له النجار ما طلب، فوضعهما «**جيف**» متقابلين، ثم نادى على أمه وبدأ في شرح المعركة لها.

أبان لها كيف تحرَّكت العساكر، وتصادمت القوى، وقفزت الخيول، وتطايرت السِّهام من فوق الفيلة الهائجة.

أكد لها أنه وجيشه كانا دائمًا ما يحذِّران «**تالند**» إذا ما كان هناك ثمة خطر يُهدده!

وفي الأخير شرح لها كيف تمت محاصرة «**تالند**» حتى وجدوه ميتًا دون أن يمسَّه أحد.

استمعت الملكة لشرح «**جيف**» وهي صامتة إلى أن أنهى كلامه دون أن تُعقِّب، ثم أمرت أن تُحمَل الرقعة بقطعها إلى غرفتها.

ظلَّت الملكة تتأمَّل القطع الخشبية كثيرًا، وهي تحاول أن تفتح ثغرة كي تُنقذ «**تالند**»، كانت تسأل نفسها كثيرًا: **«هل كان يجب أن ينتهي الأمر بمقتل أحد ولديها؟ ألم يكن ممكنًا أن ينتصر كلاهما!»**

وذات ليلة وجدوا الملكة ميتة بجوار الرُّقعة الخشبية، وقد احتضنت القطعة التي تُمثل الملك المهزوم.

شيَّعت المملكة ملكتها إلى قبرها في حزن ولوعة.



كانت أخبار أيامها الأخيرة قد وصلت إلى كل أبناء المملكة، فرثوا لحالها وتألموا لألمها كثيرًا.

الأمر الأشد حزنًا أن «**جيف**» كان يشعر في قرارة نفسه أنه مُدان في عيون الكثيرين بقتل «**تالند**» أخيه، كان يؤلمه كثيرًا أن يكون في نظر البعض سفَّاحًا أنانيًّا ليس لديه عزيز ولا غال.

كان وزيره، وقد كان رجلًا حكيمًا من أصدقاء أبيه الراحل، يتألم من رؤية «**جيف**» وهو يُعذَّب، فاقترح عليه أمرًا:

وهو أن توضع الرُّقعة الخشبية بقطعها في أكبر ميادين المملكة، ليقف أمامها عامة الشعب، كبيرهم وصغيرهم رجالهم ونساؤهم، حكماؤهم وعامَّتهم، ليفكِّر كلٌّ منهم في إجابة السؤال المهم: كيف كان يمكن إنقاذ «تالند»؟

وبالفعل وجد «**جيف**» في هذه الفكرة مهربًا من إحساسه العميق بأنه مُدان ومسؤول عن مقتل أخيه.

وكان أن صارت تلك الرُّقعة بقطعها مثار حديث الناس بكامل طوائفهم وخصوصًا الأذكياء منهم، والذين وجدوا فيها تحديًا حقيقيًّا لمهاراتهم وعبقريتهم.

وانتشرت في أسواق المملكة مجسَّمات تُشبه الرقعة

وأدخلوا عليها بعض التعديل، وأيضًا بعض القوانين التي يجب ألَّا تُخالَف لمن قرَّر أن يخوض التحدي.

ومع مرور الوقت، تحوَّلت هذه المأساة إلى لعبة ترفيهية للأذكياء تُسمَّى الشطرنج.







توطئة

مرحبًا صديقي العزيز...

أنا كريم الشاذلي، الكاتب الشاب الذي يقف مختالًا في منتصف عقده الرابع، ويحاول دائمًا إخبارك بما يجب عليك فعله في الحياة!.

أغلب الظن أنك قد سئمت الحديث عن التنمية البشرية والتطوير الذاتي، لقد صارت تلك الكتب التي تتحدث عن الأحلام التي آن تحقيقُها، والطموحات التي يجب أن تحركك، والأهداف التي قد تأخرت في تحديدها...



أقول: صارت هذه الكتب أشبه بثقل إضافي، بدلًا من أن تكون طوق نجاة، ولا أُخفيك سرًّا إن بُحت لك بأن أكثر هذه الكتب تحمل بين أسطرها لومًا وتقريعًا شديدًا لهِمَمِنا التي صارت خوارًا، وعزيمتنا التي تبلَّدت، دون أن تُعطينا خريطة نمشي بها نحو الهدف.

دعك من الكاتب نفسه، والذي يحاول دائمًا أن يؤكد أنه قد أمسك بالحكمة من تلابيبها، وأنه قد جاهد جهادًا مبرورًا، وعبر مصاعب الحياة، وتغلَّب على



دسائسها بذكاء ومهارة فريدة، ثم جاءك ليُعطيك عصير عُمره في كتاب صغير طالبًا منك – في تواضُع – **أن تقبل خُلاصة حِكمته كي تبدأ حياتك الحقيقية.**

هل يحاول بعضكم أن يستدعي صورتي في ذهنه الآن؟ آمُل ألا يحدث ذلك.

فأنا صديقكم الذي يحاول دائمًا إخباركم بما يجب عليكم فعله في الحياة، أتمنى ألا تنسوا ذلك أبدًا.

وها قد جئت اليوم لأتحدث معكم عن الحياة التي أؤمن بأنها تشبه إلى حدٍّ كبير **رقعة الشطرنج!**

سواء كنت من هُواة هذه اللعبة أم لا، إلا أنك في الغالب تُدرك أنها لُعبة الملوك، اللعبة التي توزَن بها العقول، وتوضع فيها الخطط، ولا يلعبها سوى الأذكياء!

الشطرنج، تلك اللعبة التي تضاربت حول نشأتها الأساطير، لكنها اتفقت جميعًا أنها ولدت في بلاط مملكة ما، وأنها كانت الوسيلة التي يُروِّح بها الملوك والأُمراء عن أنفسهم وفي الوقت نفسه يشحذون بها عقولهم وينظمون في أذهانهم خطط الحرب ووسائلها.

لُعبة الشطرنج هذه، تتشابه كثيرًا مع لُعبة الحياة، فكلنا يمتلك القِطع نفسها



نتعامل وِفق القوانين نفسها، لا نختار في الغالب خصومنا، كلنا بلا استثناء نلعب من أجل الفوز.

نخسر مع مرور الوقت بعض القطع، ونُحرز أيضًا بعض المكاسب.

نهاجم في أوقات، ندافع في أوقات أخرى.

كلنا قد نُضحِّي ببعض العساكر، أقل قطع الشطرنج قيمةً، كي نحقق مكسبًا استراتيجيًا ما.

كلنا نسمع تلك الكلمة الباعثة على التوتر، **كِشّ ملك!**

وكلنا بلا استثناء نبذل جهدنا، للحفاظ على الملك.

والآن، اسمح لي أن أسألك:

هل تُجيد لَعِبَ الشطرنج؟!



لأنه، ورغم التشابه الكبير بين **الحياة والشطرنج**، إلا أن بينهما اختلافًا خطيرًا ذلك **أن هزيمتك في معركة الشطرنج ممكن تعويضها، بينما هزيمتك في معركة الحياة ربما تكون هي قاصمة الظهر**، للأسف الحياة في أوقات كثيرة تكون قاسية جدًّا، ولا تسمح لنا بفرصة للتعويض.

لذا، وخلال الصفحات القادمة جمعت لك **18 استراتيجية** من استراتيجيات الحياة التي تتشابه إلى حد كبير مع استراتيجيات لعبة الشطرنج.



كي ننتقل سويةً في تعاطينا مع الحياة إلى مرتبة أعلى من مرتبة المبتدئين الذي يتعاملون معها تعامُلًا ارتجاليًّا، قفزة هنا وأخرى هناك.

دعنا نحاول هذه المرة أن نكتب أسماءَنا في سجل المحترفين.





النقلة الأولى

لنتفق بدايةً على أن الله أبدع هذه الحياة، ولم يخلق فيها شيئًا عبثًا، هو المدبِّر والحاكم لحركة الكون والمخلوقات، يتعامل معنا نحن عباده الضعفاء بصفاته العظيمة، برحمته، ولطفه، وإحسانه.

لكنه - جل اسمه - خلق في الحياة نواميس وقوانين، ولأنه العدل، فإنه دفعنا للعيش في الحياة وفق قوانين لا تحابي أحدًا، مهما كان مؤمنًا، ولا تعاكس أحدًا، مهما كان جاحدًا كافرًا، فمن اجتهد وعمل وبذل الجهد فاز وربح، ومن تقاعَس وتخاذَل كان الفشل حليفَه.

كلنا سيان في ذلك، هذا حالنا في الدنيا، كلنا - مؤمنين وغير ذلك - سواسية نمضي وفق ناموس مُحدَّد، وقانون يسري على جميع الخلائق.

وذو البصيرة يستطيع أن يلحَظ سُنن الله في الكون، وحُسن تدبيره، وحِكمته ولهذا حاولت أن أقتطف بعضًا من سُنن الحياة هذه ووضعها في شكل جميل ضاربًا لها مثلًا بقوانين لعبة الشطرنج.

وقد يجد بعضنا في نفسه حرجًا من تشبيه تلك الحياة العظيمة التي أبدعها

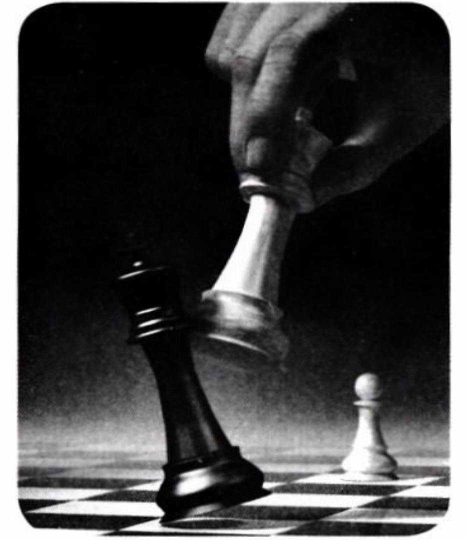


سبحانه وتعالى بلُعبة نلعبها للترويح، وهذا ليس مقصدي ولم أرمِ إليه قط.

أنا هنا أتحدث عن تصرف وسلوك المرء منَّا تجاه قواعد الحياة، التشبيه غالبًا يجعل المرء أكثر قدرةً على الفهم، وضرب الأمثال دائمًا ما يؤتي فائدة لذوي الألباب.

لا سيما أن ما اخترعناه من ألعاب في دنيانا تنبع بشكل أو بآخر من الحياة ومفاهيمها وقوانينها، نحن لم نبتعد كثيرًا إذًا!

قارئ آخر ربما لا تروق له رؤيتنا للحياة على أنها مُعترَك وأرض حرب...



والحقيقة التي لا يجب الهروب منها أنها للأسف كذلك، العالم ومنذ خلق الله آدم وحتى اليوم **تتدافع فيه قوتان رئيستان، قوى الشر بكل أنواعه، ودرجاته، وأساليبه، وقوى الخير كذلك بدرجاته وأنواعه وسبله.**

أنت إذًا محبوس في مساحة زمنية ومكانية حدَّدها ربُّنا سبحانه وتعالى، ومُطالَب بفهم قوانين اللعبة، والانتباه لتحركات الخصوم، ودراسة واقعك بشكل جيد ومنضبط.

والمتمرِّس في معارك الحياة سيؤكد لك أن خوفك من خوض مضمارها أشد إيلامًا من أن تخوض وتحارب وتتألم، فمع الضغوط والمشكلات والخطط

والألاعيب هناك ثمة مُتعة يشعُر بها اللاعبون، متعة كونك إيجابيًّا ومؤثرًا وقادرًا على أن تصنع فارقًا في تركيبة الحياة.

إن العيش بذكاء واحترافية يتطلَّب منك طريقة مُعيَّنة للنظر للحياة من حولك، وقدرة فذة ومرونة كبيرة كي تستطيع تحويل زاوية النظر لديك لتصبح موجَّهة إلى الجزء الذي تستطيع أن تربح من خلاله وتفوز...

أنت بحاجة كي تربح أن تتعلم مجموعة كبيرة من المهارات الحاسمة، وأقصد بالحاسمة تلك التي يعني إخفاقُك في تعلُّمها أنك تفقد جزءًا كبيرًا من الذخيرة التي يجب أن تعتمد عليها.

خذ مثلًا مهارةً كقُدرتك في التحكُّم في عواطفك...

للأسف عواطفنا في كثير من الأحيان تخوننا، نشعر بالراحة عندما نعبِّر عن مشاعر الغضب أو السخط أو الاشمئزاز والكراهية، لكنها مع ذلك تسحبنا إلى مناطق أخرى خطرةً.

مشاعر الغضب على سبيل المثال هي أكثر مشاعرنا الإنسانية تدميرًا لمراكز القوى، تجعلنا غير قادرين على السيطرة على الوضع من حولنا، وتُظهرنا بمظهر المضطرب.

حتى المشاعر الإيجابية كالحب والمودة إذا لم نضبطها جيدًا، فمن الممكن أن نؤتى من قبلهما ونخسر، الشخص الواعي هو القادر على إدارة مشاعره إدارة جيدة واعية مُثمرة.



أيضًا من المهارات التي يحتاجها اللاعب الماهر: **الصبر**، إنه الدرع الصلد الذي تتكسَّر عليه سهام الحياة، وخطط الأعداء.

والصبر ليس صفةً نولَد بها كليةً، معظمنا قادر على أن يتعلم هذه الصفة ويُنمِّيها داخلَه، معظمنا قادر على وضع كوابح توقفه عندما يكون التأنِّي هو المطلَب والغاية.

ما لا تفعله أيضًا ذو أهمية قصوى في لعبة الحياة، نعم هذه حقيقة مهمة، ليس فقط ما تفعله هو الذي يؤثر على فوزك، وإنما ما تتوقف عن فعله كذلك.

في لعبة الشطرنج يحاول خصمك أن يُلقي أمامك بقطعة مُغرية كي تقتنصها وما إن تفعل حتى تجد نفسك قد أصبحت جزءًا من خطته للفوز، وما مكسبك السريع سوى طُعم التهمتَه دون تفكير، والحياة أيضًا كذلك تُلقي إلينا يوميًّا بعشرات وربما مئات المُغريات السامَّة، التي ما إن تقتنصها حتى يُصيبك الترنُّح ويصبح أمر هزيمتك واردًا وقريبًا.

ولذلك يؤكد الفيلسوف الألماني نيتشه على أن:

«قيمة الأشياء الحقيقية لا تتوقف فقط على حصولنا عليها واستمتاعنا بالفوز بها، لكن يتوقَّف على ما دفعناه من أجل الفوز بها».

أو بعبارة أخرى (**كم دفعنا ثمنًا لها**).

فهم الآخرين مهارة مهمة للفوز باللعبة، أنت تتعامل مع بشر، وارتقاؤك



متوقِّف إلى حد كبير جدًّا على قدرتك في فهمهم وكسب دعمهم لك، واصطدامك المتواصل معهم سيُعيقُك كثيرًا عن الفوز.

تبديل عاداتك السلبية بأخرى إيجابية، احترامك لقيمك ومبادئك، التعلُّم من الهجوم والنقد الذي يأتيك من منافسيك وخصومك، كل هذه مهارات تحتاجها بقوة كي تفوز في اللعبة... لعبة الحياة.

بوضوح يا صاحبي لا شيء عبثي في الحياة، الأمور تمضي وِفق سُنن وقواعد، وأولى هذه القواعد أهميةً أن تؤمن بقوانين وقواعد اللعبة!







18 استراتيجية تُفيدك في مُواجهة اضطرابات الحياة

(1) التزم بالقوانين

هي هكذا، إما أن تلعبها بقوانينها أو فلتعلن هزيمتك ليس من حقك أن تحرك البيدق - العسكري - للخلف كما لا يمكن للفيل أن يسير بشكل مستقيم، أو أن يتحرك الحصان حركة واحدة، إن الالتزام بقوانين اللعبة هو الذي يضبطها، ويُظهر المُحترف من المُدَّعي، لا أحد هنا يلعب بقوانينه الخاصة.

1. التزم بالقوانين

لا يمكن لأي إنسان منّا أن يتعامل مع الحياة بقوانينه الخاصة، ليس من حقّه أن يُطالب القدر أن يكون وِفق ما يشتهي، أن تُغيِّر الحياة من نواميسها نظرًا لأنه يجد صعوبةً أو ضيقًا في التعامُل معها.

في لعبة الشطرنج أقصى ما يمكنك اختياره هو لون القِطع التي تلعب بها لكن القوانين التي تحكم علاقتك بخصمك ثابتة وماضية عليكما أنتما الاثنين.

أول قانون يجب أن تحترمه وأنت تواجه الحياة هو أن تحترم قوانينها!

عندما يرتفع صوتك متذمرًا من **الظُلم، والجور، والاضطهاد** الذي تُلاقيك به الحياة، فأنت للأسف الشديد، **تجهز أسباب هزيمتك المستقبلية**، فلا يوجد لاعب يريد أن ينتصر وينجح وكل همه التذمر من قوانين اللعبة وتوجيه معظم جهده لإظهار تربُّص الحياة به، **إدمان الشكوى ولعب دور الضحية للأسف يهواه كثير من البشر، ويجدون فيه لذة وراحة موهومة.**

والسؤال:



لماذا نطعن في قوانين اللعبة؟

لأن هذا يُعطينا مزية تخفيف عبء لوم النفس، يُظهرنا بمظهر الضحية التي تُعاندها الظروف، ويتربص بها الزمان، وتتكاتف القوى كلها من أجل الإيقاع بها، يحدث هذا على المستوى الفردي، وعلى المستوى الجماعي.

نظرية المؤامرة تتحكم في ذهن الخاسر، وتحاول أن تخلع عنه مسؤوليته عمَّا يحدث له، وتُعلق الأمر على شماعة القوانين الجائرة والتربص والمؤامرة التي تُحاك ضده.

ولعل هذا هو الدافع للسؤال الفلسفي القديم:
هل الإنسان مُخيَّر أم مُسيَّر؟

وهو السؤال الذي يحاول طرح فرضية أنك غير مُآخَذ على ما تفعل، لأن ما تفعله هو **قضاء الله المكتوب، وقدره النافذ، وهي قولة حق يُراد بها باطل!**

هل تذكر السفاحتين الشهيرتين «ريَّا وسكينة»؟

إنهما امرأتان كانت مهنتهما التي احترفتاها قتل النساء وسرقتهن ثم دفن جثثهن في قبو منزلهن، ثم تجلسان لتناول طعام الإفطار في استمتاع حقيقي.

عندما قُبض عليهما وتم سؤالهما عن دوافع الجريمة، لم تزيدا على قول: (قدر ومكتوب)، **وأنه الضحايا لو تُركنَ دون أي تدخُّل منهنَّ لمتنَ قدرًا ومكتوبًا!**

هكذا ببساطة، دون أن يظهر عليهن أي بادرة للندم أو الألم مما اقترفته أيديهن **إنه المُخدِّر الذي يُريح عضلة الضمير من العمل وتأنيب النفس وإيقاظها، القدر والمكتوب.**

ألم يكن هذا القدر حجَّة مناسبة كي يجلس الأديب العربي الكفيف الفقير طه حسين في داره فلا يتعلم، ويهاجر ويخوض المعارك الفكرية والأدبية؟

ألم يكن هذا المكتوب شماعة جيدة للعمياء الصماء البكماء هيلن كيلر، فلا تقبل التحدي، وتقضي ما بقي لها من العُمر تنتظر خطوات مَلَك الموت؟

كان بلال بن رباح رضي الله عنه عبدًا لا يملك من أمره شيئًا، كان يذهب للنوم بأمر من سيده.

ألم يكن هذا دافعًا لأن يجنِّب نفسه خوض المغامرة، ودخول معترك الحياة، وتحمُّل مخاطر الدفاع عن عقيدة ربما كان عنقه هي الثمن الذي يدفعه من أجلها؟

كل العظماء أدركوا الحقيقة التي يطيب للبعض الذهول عنها، وهي أن قوانين اللعبة تقتضي ألا تتذمر مما تأتي به الأيام، أن تُعيد تشكيل وعيك ليتعامل مع التحديات التي تطرأ على عالمك وتركز جهدك فيها بشكل منضبط.

أعلم أن الكلمات تبدو سهلةً عند كتابتها وقراءتها، بخلاف التطبيق الذي يكون ثقيلًا عصيبًا، لكن روعة الحياة أنها تمضي وفق قوانين.

> الحقيقة باردة، والواقع رصين واستيعابهما أمرٌ غيرُ مُريح، بينما الكذبة مُستساغة أكثر! والتحليق مع الوهم مُريح ومُثير للاهتمام.
> إن أكثر الناس احتقارًا في العالم هو الشخص الذي يصدم الناس بالحقيقة المجردة.
>
> جوزيف ويل

اعرف القانون تعرف أصول اللعبة

والقوانين هنا تقول أنك عندما تواجه ضغطًا واضطرابًا في محيطك، وأن العوائق تبدو كثيرة وقاسية



فعليك بتهيئة نفسك جيدًا، أن تبدأ في تطبيق استراتيجيات المرحلة!.

نعم، كل مرحلة لها استراتيجيات، وتخطيط، وطرق معينة للتنفيذ، الأمر ليس خبط عشواء، والمحارب الحقيقي هو الذي يُخرج من كنانته السهم المناسب لفريسته.

دعونا ننظر لمثال عن أحد أشجع الفرسان في التاريخ العربي القديم **(عنترة بن شداد)**...

سُئل يومًا عنترة: أأنت أشجع العرب وأشدها؟ فقال: لا.

فقيل: فبماذا شاع لك هذا في الناس؟

قال: **«كنت أُقدِم إذا رأيت الإقدام عزمًا، وأُحجِم إذا رأيت الإحجام حزمًا ولا أدخل إلا موضعًا أرى لي منه مَخرَجًا، وكنت أعتمد الضعيف الجبان فأضربه الضربة الهائلة التي يطير لها قلب الشجاع فأثني عليه فأقتله»**.

ما أيسر أن يهتف عنترة: «نعم أنا أعظم الفرسان وأشجعهم».

لكنه يأبى إلا أن يضعنا أمام الحقيقة المجردة التي نستشف منها كيف أن الحيلة والحنكة والانتباه إلى قوانين الشجاعة والنصر، صنعوا اسمه وسِجلّه في سِجل الفرسان.

لا مراء في أن عنترة كان أشهر فرسان العرب في الجاهلية، وأبعدهم صيتًا، وأعظمهم ذِكرًا وشيمةً، وعزة نفس، ووفاءً للعهد، وإنجازًا للوعد، وهي الأخلاق المُثلَى في قديم الزمان وحديثه.



وهي التي قربته وتُقربنا من قوانين الحياة الخاصة بالشجاعة وطِيب الذِّكر وحُسن السيرة، والمجد.

والسؤال الآن: كم فارس استطاع اكتشافه وفهمه والاهتداء إليه؟ القليل طبعًا.

وإذا سألت معاوية بن أبي سفيان أحد أهم وأعظم السياسيين في التاريخ الإسلامي عن سر تحكُّمه المُذهِل في مملكته، في وقت عصيب مليء بالانقلابات والحروب، كيف أمكن له أن يسيطر عليها بإحكام مُذهل لمدة زادت عن العقود الأربعة - واليًا وخليفةً - يقول:

«كان بيني وبين الناس شَعرة ما انقطعت، كانوا إذا مدُّوها أرخيتُها، وإذا أرخوها مددتها».

ويعني أنه لا يستخدم القوة في كل أحواله ولا اللين في كل أحواله، بل يستخدم ما يراه مناسبًا للموقف، وهذا قانون سياسي عميق تخبرنا به الحياة، **ولكن كم من حاكم وملك اهتدى إليه؟!**

النجاح له قوانين، الرقي له قوانين، المال له قوانين، السلطة لها قوانين، السعادة لها قوانين، الحُب له قوانين!

هذا جليٌّ لكل متفكِّر متدبِّر في حركة الحياة، لكننا لا نود الاعتراف بهذا، لذا نخسر في معظم معاركنا، ونتعثر بشكل متكرر.

العالم الكبير آينشتاين يؤكد أنه إذا ما أحببت أن تربح في معركة الحياة أن

تفعل ما يلي: «**أن تتعلَّم قواعد اللعبة أولًا، ثم عليك أن تتعلَّم كيف تلعب أفضل من الآخرين ثانيًا**».

أؤكد: الأسهل ألا تقتنع بما أقول، الأيسر أن تعتقد أن الحظ هو المتحكِّم في كل شيء، وأن القدر هو الذي يحركنا، وأننا مسيرون في الحياة لا نملك من أمرنا شيئًا...

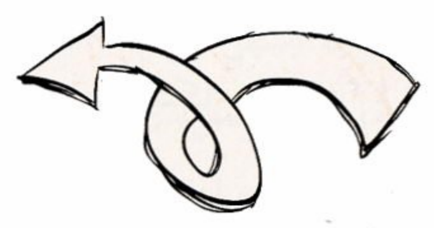
هذا هو السهل، وتلك حُجَج تناسب البعض، لكن كلامي هنا مُوجَّه للبعض الآخر!

لك يا صديقي الهُمام أوجِّه حديثي: **اعرف قوانين الحياة، تعش فيها بذكاء.**

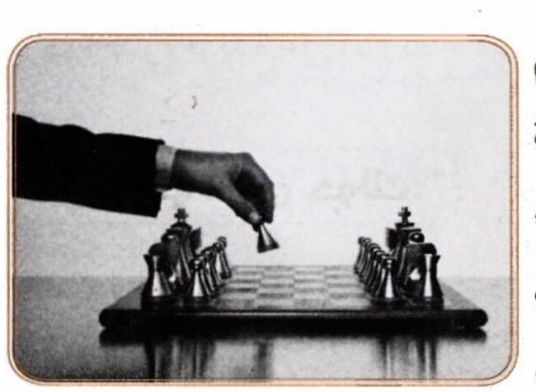
وستسألني بطبيعة الحال: وأين يمكن أن أجد هذه القوانين؟

للأسف ليس هناك كُتيِّب يحوي حِكَم الأولين، وتُرتَّب فيه قوانين الحياة ترتيبًا سهلًا يسيرًا.

الكتب السماوية تُعطينا الخطوط العريضة التي تعصمنا من الزلل، لكن الآليات والخطوات العملية تتغير وفق الواقع، وفِقه المرحلة، وحجم التحدي المفروض علينا، **لذا فإنني أرى أن فهم قوانين الحياة يمكننا أن نستشفَّه فيما يأتي:**



أولًا، حياتك الماضية:



لاعب الشطرنج الماهر هو الذي يتعلَّم من كل خطوة غير جيدة، من كل مباراة سابقة خسرها، وفي الحياة فإن تاريخ المرء هو المصل الذي يتقوَّى به على أزمات الحاضر والمستقبل، بكل ما فيه من أخطاء وخطايا، بكل ما يحمله من آلام وانكسارات وزلل، بمخزون النصر والتفوق والتقدُّم، كل دقيقة وكل موقف مرَّ بك يجب أن تستخدمه وتستفيد منه بشكل كامل.

يجب أن تنظر للخلف لتثقِّف نفسك على الدوام، أن تنظر إلى الماضي لتستلهم الحِكمة، بعدها تنظر للأمام وتستفيد من أخطائك السابقة، دائمًا ما أُحذرك من التطلُّع للماضي لتجتر منه الأحزان والأحقاد، لكنني لا أقصد أن تُهمل دروس الحياة معك.

> إن أخطر وأهم قوانين الحياة يمكن أن تستلهمها من حياتك الشخصية، يمكنك عندما تفشل أن تُراجع نفسك لتعرف ما الخطأ الذي وقعت فيه وأرداك هذه المكانة السيئة.

حينما تقول لنفسك في حزم: «**لن أقع في هذا الخطأ ثانيةً**»، فإنك تحدد بداية



إبصارك لملامح قانون جديد من قوانين الحياة، إذا كنت قادرًا على القيام بهذه الخطوة الرائعة، فأنت قادر على تحطيم أنماط الماضي، وتلك لو تدري مهارة نادرة، وقدرة فريدة على الارتقاء.

ثانيًا، الحياة من حولك:

أصدقاؤك وشركاؤك في الحياة دائمًا يقعون في الأخطاء، استفد من أخطائهم بالتبصُّر فيها.

أجدادنا العرب يحذروننا من خطورة ألا ننتبه لأخطاء الآخرين لنستلهم منها العِبَر، وينعتون بالشقاء من يكتسب الدّروس فقط من خلال تجاربه الشخصية بقولهم: **(السعيدُ من اتَّعظ بغيره، والشقيُّ من اتَّعظ بنفسه)**.

كن ذكيًّا وخذ العبرة والعظة من أخطاء الآخرين.

لاعب الشطرنج الفطن لا بد أن يشاهد الكثير من المباريات، ليتعلم استراتيجيات متعددة، وينتبه إلى الأخطاء والفخاخ التي تُنصَب لغيره، ليس مجبرًا أن يقع في كل الأخطاء ما دام يملك القدرة على التأمُّل والتبصُّر في أخطاء الآخرين.

وكذلك أنت، كل خطأ يقع فيه غيرك فرصة ثمينة تتعلم منها، لأنها ببساطة خرق لقانون من قوانين الحياة، ويجب أن تنتبه حتى لا تخرقه أنت أيضًا، وكذلك كل انتصار هو في حد ذاته تطبيق لقانون من تلك القوانين ويجب أن تعيه جيدًا.



ثالثًا، القراءة في سِيَر الآخرين:

كُتب التاريخ والسِّيَر والتراجم لها أهمية قصوى في فهم قوانين الحياة.

ستخسر كثيرًا عندما تُهمل التأمل في سِيَر العظماء والحكماء والمؤثرين الذي أثروا الحياة وغيروا فيها.

أيضًا حياة المجرمين والفشلة والطغاة بها الكثير الذي يجب أن ننتبه إليه، اقرأ كثيرًا وحاول أن تضع إصبعك على النقاط المؤثرة في حياة البشر، والتي صنعت تميُّزَهم، سواء في الخير أو في الشر، واستخلص القانون.

رابعًا، العزلة:

كل إنسان منَّا يجب أن يكون له حظٌ من العزلة الإيجابية، التي يترك فيها الناس، ويدعهم جانبًا، ويجلس متأملًا في حاله أولًا، وأحوال البشر من حوله ثانيًا.

اعتزال الناس إذا طال له سلبياته الكبيرة، ويمنعنا من أن نؤثر ونتأثر بمن حولنا، فضلًا عن كونه معاكسًا لطبيعة الإنسان من الناحية الاجتماعية وميله للتفاعل مع شركائه من بني البشر.

لكن العزلة المقصودة هي العزلة الإيجابية التي تدفعنا إلى الابتعاد عن صخب وضجيج العالم الخارجي لمدة من الزمن، نُصغي فيها بهدوء إلى صوت



أرواحنا التي ربما تئن وتتألم، وتعاني دون أن نسمع معاناتها، عزلة تدفعنا إلى الإنصات لصوت الضمير الذي قد يصرخ فينا أن: **توقَّف وتمهَّل وراجع نفسك.**

والذي للأسف يكون صياح الحياة من حولنا أعلى منه فلا ننتبه لتحذيره نستمع إلى وشوشات الفطرة التي أودعها الله فينا ونفخ فيها من أسرار عظمته كي نلتجئ إليها إذا ما أحسسنا بالحيرة.

> **كل هذا يحتاج منَّا إلى ساعات من السكون والهدوء الرُّوحي، لنخرج بعدها بفهم أعمق وأكبر لقوانين الحياة الصحيحة والسليمة.**







وقف الشيخ الصوفي تحت المصباح الذي يُنير أمام باب منزله يبحث عن مفتاح بيته الذي ضاع منه، وما إن رآه بعض المارة إلا وتوجهوا إليه يساعدوه في البحث عن حاجته، طال بحثهم حتى مشطوا المكان بالكامل...

فسأله أحدهم: يا شيخنا، لقد بحثنا في طول الطريق وعرضه، هل أنت متأكد من أنه سقط منك هنا؟

فقال له الشيخ: لا، **لقد سقط مني داخل الدار**، وعندما سمع القوم هذا التصريح الغريب من الشيخ التفتوا إليه جميعًا وهم يهتفون بدهشة: **ولماذا إذًا تركتنا نبحث هنا؟**

فرد عليهم بهدوء: **ألا ترون أن الإضاءة هنا أفضل من الداخل؟**

هذا الموقف الذي ربما نترجمه على أنه شيء غريب ومتناقض، هو في الحقيقة وسيلتنا في التعامل مع أنفسنا ومع الحياة!



الشيخ الأريب لم يكن بالغباء الذي قد يتهمه به البعض، ذلك أنه أراد أن يلفت النظر إلى أن ما نفقده ويضيع منَّا يكون في الغالب داخل أنفسنا، لكننا نبحث عنه في الخارج، حيث الضجيج، والصخب، والنور!



إن دواخلنا غامضة، نفوسنا بها من الدروب والأزقة ما يجعل الواحد منّا متهيبًا من اكتشاف جوانبها، وتفتيش أرجائها، والبحث فيها عن الشيء الخطأ أو الشيء المفقود.

ولذلك نفقد كثيرًا القدرة على رؤية القوانين الصحيحة للحياة.

معظمنا لا يملك القدرة على أن يواجه نفسه ويخبرها أنه مُقصر، أو مُذنِب أو مُدَّع، أو غير أمين.

معظمنا يتهيَّب من أن يُضيء رُوحَه بمصباح الضمير، كي لا يكشف له حجم السوء الذي يمنعه من التقدُّم في الحياة.

هذا يا صاحبي هو السبب الأهم للغشاوة التي تجعلنا فاقدي البوصلة الصحيحة للتحرك.

الواحد منّا يبحث في خارجه عن سبب ما للتخلف الذي يلف حياته، والتدهور الذي يعاني منه، والنتيجة أنه يُلقي باللوم على الخارج، ويطعن في قوانين لعبة الحياة.





(2) الارتقاء ليس حكرًا على أحد

البيدق، أو العسكري، هو أضعف قطعة في لعبة الشطرنج وأكثرها عددًا.

تملك منه ثماني قطع، هو أول من تضحِّي به إذا اضطُررت للتضحية، ولا تحزن عليه كثيرًا لأن لديك منه عددًا غير قليل.

لكنه أيضًا إذا ما استطاع أن يصل إلى آخر مُربع في اللعبة يمكنك ترقيته ليُصبح وزيرًا، أغلى وأروع وأهم قطعة في لعبة الشطرنج، وكما قلت: هناك شرط واحد، أن يسير خطوة، خطوة، دون أن يُقضَى عليه حتى يصل لآخر مُربع في رقعة الشطرنج!



تُخرِج الأرحام يوميًا عشرات الألوف من البشر، كلهم يتساوون في كونهم ضعفاء، مساكين، لا حول لهم، تمضي الأيام ويتساقط منهم كل يوم العشرات وربما المئات أو الألوف، مرة في آبار الخيبة، ومرة أخرى في مصائد الزلل، وثالثة في شِباك الشهوات والمُتَع السريعة القاتلة!

فقط هناك عدد قليل يمضي في ثبات حذِر، يُعلق عينيه بالمربع الأخير، بغايته التي حدَّدها بدقَّة، وكلما كان حِرصه أشد، وهدفه محددًا، وتركيزه غير مشوَّش كلما كانت فرصة وصوله إلى مرتبة التحكُّم في واقعه أكبر.

ما أريد قوله بوضوح أن النجاح والتميز ليسا حكرًا على أحد، كلنا نستطيع أن نلمس قمة جبل الطموح لو أردنا ذلك حقيقةً.

أعلم أن البعض شبع من كلام التحفيز الذي يُشبه الإنشاء، والذي يبدو كأنه قد خُلق لدغدغة المشاعر والعواطف، وأن هناك من سيرى في كلامي نفس النهج الحماسي الذي يبدو كالمخدِّر الذي يقترب به من عالم الخيال فيلمس سحبًا ونجومًا هي أبعد ما تكون عن واقعه، ولكن فلتسمح لي يا صديقي أن نأخذ الأمر خطوة خطوة..

ما الذي يمنع معظمنا من الارتقاء والنجاح؟

 كثيرون حاولوا الإجابة عن هذا السؤال المهم...

البعض منهم ذهب إلى الدوافع والهِمَم، حيث هِمَّة المرء هي التي تُبلغه الغاية

التي يريد أو تقعد به في منتصف الطريق، **البعض الآخر رأى أن** المعتقدات التي نؤمن بها هي التي تمنعنا، لا سيما إن كانت سلبية أو مُحبِطة، من نوعية:

(لا أستطيع، لا أقدر، الظروف، الناس، الحياة،)، فترسخ قناعة مثل: **(الظروف أقوى مني، والحياة تضطهدني - أصحاب القيم والمُثل السامية ليس لهم في دنيا الغش والخداع مكان)**، هذه القناعات السلبية تقف عائقًا أمام البعض من الوصول إلى غايته.

كما أن الجهل، وعدم معرفة خطوات وأسس وقواعد النجاح، يقف عائقًا أمام بعض الطامحين في النجاح والرقي.

الحقيقة أن كل هذا صحيح، ولا يمكن الحديث عن الوصول إلى غاية ومراد المرء دون التعرُّض لخطورة القيم السلبية، وأهمية بناء الهِمَم وشحذها، وكذلك توفر المعلومات والمعرفة التي تقينا الزلل والسقوط، وذلك لأن هذه الأشياء - القيم والمفاهيم والمعلومات المغلوطة - تُشكِّل العادة والسلوك الذي ينتهجه المرء في حياته ومستقبله إلى أن يلقى الله.



نعود إلى لعبة الشطرنج ونقول بأن الرقعة ذات اللونين مليئة بالفخاخ، والكوارث والألاعيب، فالعسكري الذي يود أن يصل للمربع الأخير كي يترقَّى ويُصبح وزيرًا لن يجد الأمر مُمهَّدًا وبسيطًا أبدًا.

سيشعر أن جميع القطع منتبهة لتحركاته، تريد أن تُرديه وتُسقِطه، وتشرب نخب هزيمته.

والحياة كذلك، بها الكثير الذي يمكن أن يؤخِّرنا عن الوصول إلى أهدافنا يحاول عرقلتنا عن المضيِّ قُدُمًا، نتحدث هنا عن **الأعداء والظروف والناس والضغوط**، كل هذه الأشياء لا يمكن غض الطرف عنها وعن تأثيرها القوي في جذبنا إلى الأسفل.

لكن الشيء الذي يجب أن يُدركه المرء أن الحياة ليست فقط ما يقع من أحداث، ليست فقط ما نلاقيه من مستجدات ومفاجآت...

إنها تتعلق بشكل كبير بردود الفعل تجاه هذه الأحداث بالخيارات التي يختارها، بكيفية استجابته لها، وهذا هو مربط الفرس!

عندما نُسيء التعامل مع الأحداث التي تدور حولنا، عندما تصبح خياراتنا غير سليمة، عندما نبدو بلا حول ولا قوة، ردود أفعال دائمة للأحداث، فإننا للأسف الشديد نتجه إلى خلق عنوان بارز لحياتنا اسمه «**الضعف**» ومن ثَم الفشل.

في الشطرنج، عندما تلعب مع خصم واحد أكثر من مرة، تُصبح معظم خطواتك متوقَّعة، ذلك أن ما تفعله يعتمد على عادتك في اللعب، والطريقة التقليدية التي تهجم بها على خصمك، أو تحمي بها ملكك.

في الحياة أيضًا يؤكد أساتذة علم النفس والاجتماع أن كثيرًا من الأنشطة التي



يمارسها الإنسان في الحياة هي **إجراءات روتينية**، فمنذ اللحظة التي تُباعد فيها بين جفنيك وتستيقظ لتبدأ دورة يومية جديدة في الحياة، وحتى تعود ثانيةً إلى الفِراش نفسه، فأنت تقوم بالعشرات وربما المئات من الأشياء المكررة الرتيبة.

ولو راقبت نفسك ستجد أن طريقتك في ارتداء ملابسك، وخروجك وركوبك للسيارة التي تُقِلُّك إلى عملك أو جامعتك متشابهة إلى حد كبير كذلك طريقتك في الرد على الهاتف، وإنهاء مهامك والتزاماتك، والتعامل مع أقاربك وأصدقائك، بل وتعامُلك مع صحتك وجسدك، متشابهة جدًّا.

وهذا أمر في جوهره ليس سيئًا، فمن الجيد أن يكون للواحد منَّا شخصية مُحدَّدة المعالم، واضحة، لها صفات سلوكية معروفة، تدفع الآخرين إلى التعامل معنا بأريحية كبيرة.

الناس لا يحبون غريبي الأطوار، لكن، هذا الذي قلناه لا بُد وأن ينبهنا إلى شيء مهم وجوهري، وهو أن مُجمل حياتنا هي في الأصل ترابُط لكثير من العادات اليومية، البسيط منها والكبير، التافه منها والخطير.

والسؤال:

ما الذي يجب أن نفعله عندما نكتشف أننا نداوم على عادة سيئة؟

نغيرها طبعًا، هكذا ستقول لي في حماسة كبيرة، وإجابتك صحيحة لا مِراء.

> ما أصعب أن نتعايش مع عادة أو سلوك ندرك أنه يجر علينا وبالًا كبيرًا، بل يجب أن نعمد إلى تغييره.



وقبل أن أتحدث معك عن كيفية تغيير عاداتك السلبية تلك دعني ألفت نظرك إلى أمرين في غاية الأهمية، ويجب أن نراهما بجلاء قبل الحديث عن أي تغيير مرتجى...

أما الأول:

فأن العادات السلوكية التي نفعلها بشكل متكرر هي أمور صعبة التغيير بل مؤلمة وموجِعة أيضًا، حتى إن كان ما تود تغييره عادة صِحيَّة سيئة كتناول العشاء قبل النوم مباشرةً، أو عدم ممارسة بعض الرياضة يوميًّا، أو الإكثار من شرب المنبهات والمياه الغازية.

لم أقل شيئًا عن الإقلاع عن التدخين أو عمل حمية أو إنقاص وزن، أنا أتحدث عن أمور أبسط من ذلك كثيرًا، ومع ذلك صعب جدًّا أن نغير نمط حياتنا، وإن كان في ذلك خير لنا، **والسبب أننا أسرى عاداتنا، أو عبيد لها!.**

وأي تغيير نفعله ستواجهه مقاومة وصعوبات داخلية عنيفة.

الشيء الثاني:

الذي أحب لفت نظرك إليه هو أننا ندفع ثمن عاداتنا السلبية - غالبًا - بشكل رجعيّ!.

لا يوجد شيء يمكن أن تُرهب به مُدخنًا، كأن تؤكد له أن التدخين يسبب الوفاة، وبأنه السبب الأول لسرطان الرئة، وتتلو عليه عشرات الإحصائيات العلمية الموثَّقة التي تُرعبك أنت شخصيًّا، والمدهش أنه وبعد انتهائك من كل

هذا تجده يبتسم في إشفاق عليك وهو يُطمئنك بأنه يعرف العشرات ممن لم تفارق السيجارة شفاههم ومع ذلك عاشوا حتى قاربوا أن يلمسوا سقف المائة عام!

بل لقد رأيت رجلًا يرد على الطبيب الثائر الذي هدده بأنه لن يستقبله ثانيةً في عيادته ما لم يتوقف عن التدخين بقوله:



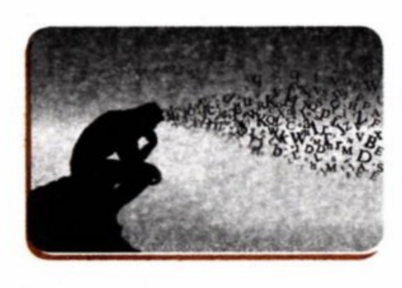
يا دكتور بالله عليك كيف أتوقف عنها وهي التي تحترق من أجلي!.

لماذا إذًا لا يتوقف المُدخِن عن عادة التدخين؟

والسبب - في نظري - أن أضرارها وخطورتها لا تظهر على السطح إلا بعدما يسقط المُدخِّن فعليًّا في براثن المرض.

كم من رجل قابلته يقول: ليتني فعلت كذا وكذا منذ زمن!.

أنا رأيت الكثير.



ليتني ادخرت عندما كان معي، ليتني اشتريت عندما عُرِض عليَّ، ليتني توقَّفت، ليتني سافرت، ليتني فعلت!.

ويتجدد السؤال المهم:

ما الذي يجب أن نفعله عندما نكتشف أننا نداوم على عادة سيئة؟

والإجابة أن نستبدلها بعادة إيجابية.

تؤكد التجارب الإنسانية، كما يؤكد علماء النفس، أن الإنسان قادر أن يبدِّل



عاداته السلبية إلى عادات إيجابية، إن أراد حقًّا.

سيحتاج هذا إلى وقت قد يطول، وهِمَّة لا تضعف، وتفاؤل وأمل.

أي عادة جديدة ستحتاج منك إلى وقت وجهد، ذلك لأنها ستكون صعبة وشاقَّة، خصوصًا في البداية، الخبر السعيد ها هنا أن ممارستك لتلك العادة بانتظام لفترة طويلة سيجعلها عادة راسخة ثابتة، ويُصبح توقُّفك عنها أمرًا صعبًا.

وكأني بك تسألني متشكِّكًا: وهل ينطبق هذا الكلام حتى على عاداتي الشخصية، كالخجل، وانعدام الثقة بالنفس، والعصبية مثلًا؟

من واقع تجربتي الشخصية أؤكد لك أنه: **نعم ينطبق كذلك!.**

فلا زلت يا صديقي أتذكَّر كيف أنني، وحتى وقت ليس بالبعيد كنت شخصًا عصبيًّا لا أُطاق، أميل إلى جعل حواراتي أشبه بالمعارك الكلامية، ولا أستشعر رضًا عن نفسي إلا بعدما أُظهر قدراتي الكبيرة في سحق محاوري وإظهاره بمظهر الضعيف المُتخبِّط.

وبعدما انتبهت إلى أن أصدقائي ومعارفي يتساقطون مني كأوراق الخريف رافضين التواصل معي، لفظاظة أسلوبي وقسوته، قررت أن أغير تلك العادة القبيحة، وأكون أكثر هدوءًا وتقبُّلًا وتفهُّمًا للآخرين.

وقبل أقل من عام كنت فعليًّا قد أعدت تضميد الكثير من جروح الصداقة الدامية، وتغيرت طريقتي إلى حد كبير.



أما عن الطريقة التي فعلت بها هذا الأمر، فهي تتكون من ثلاث خطوات متتابعات، **هي نفسها الخطوات الثلاث التي أنصحك بتدبُّرها وتطبيقها من أجل تغيير عادةٍ سلبيةٍ ما لديك:**

أولًا:

الانتباه إلى عاداتك السلبية، الواقع يؤكد أننا نعرف كثيرًا من عاداتنا السلبية بينما لا نعرف البعض الآخر.

قد تعاني مثلًا من كونك: «**مُسوِّفًا**» وتميل إلى إنهاء أعمالك في اللحظة الأخيرة، غير منتبه لحقوق أقاربك أو أصدقائك، «**مُندفعًا**» ولا تتريث أو تفكر، تنتقد بشكل جارح حتى لو كنت محقًّا، لا تستيقظ في موعدك، ودائمًا ما تُغلق المنبه وتعود للنوم، لا تقضي وقتًا كافيًا مع أطفالك وزوجتك، تتناول وجبة دسمة قبل النوم، أو غير ذلك.

أريد منك أن تضع دائرةً حول العادات السيئة التي تتمنى فعليًّا أن تتغلَّب عليها، حدِّدها بدقَّة ورتِّبها حسب خطورتها بالنسبة لك.

أيضًا يمكننا أن نسأل أصدقاءنا وأهلنا عمَّا لا يستسيغونه من سلوكنا وعاداتنا، كشافات النقد الخارجية في كثير من الأحيان تكشف لنا عيوبًا لا نراها من الداخل.

طبعًا ليس كل ما يُقال لك عن نفسك ستُصدقه، ولكن إذا ما تكررت الملحوظة من أكثر من شخص وجب أن تنتبه وتُعيد تقييم نفسك.

ثانيًا:

حدِّد العادة أو السلوك الجديد، أو لنقُل السلوك البديل الذي تود أن تقوم به.

عندما قررت أن أتغلب على ميلي في النقد والعصبية قررت أن أستبدل ذلك بصفة أخرى وهي الاستماع ومحاولة الفهم الصادق لما يُقال لي، قررت أن أحبس لساني مدةً أطول.

راقت لي وقتها مقولة الأديب الراحل **يحيى حقي** **«اضبط كلماتك، تضبط رأيك»**...

فقررت أن أُعيد ترتيب قاموسي الفِكري واللغوي كذلك، وصِرت أضع في حديثي كلمات من نوعية (**رأيي الشخصي، في تقديري، أوافقك لكن قد أختلف في جزئية من كلامك**)، بدلًا من (**خطأ، الحقيقة هي ما أقول، اسمع مني!**) حدثت هنا عملية من الإحلال والتغيير في الطريقة والأسلوب والمفردات، التي تم استبدالها بأخرى أفضل منها.

أعود لأؤكد أن الأمر لم يكن سهلًا، وكنت بين وقت وآخر أعود لعادتي القديمة في الاندفاع، لكن النسبة صارت تقل رويدًا رويدًا، ولا أُخفيكم أنني لم أبرأ تمامًا من ذلك العيب، لكن أن تقل النسبة لأكثر من 80٪ يصبح شيئًا مهمًّا ويستحق أن نتعب من أجله.



الآن هب مثلًا أنك تواجه أزمةً في أمورك المادية، القاعدة الرئيسية في أمور المال تقول: **«كي تكون راضيًا ماليًّا يجب ألا يزيد إنفاقك عن دخلك»**.

الطريق للراحة المادية ينبع من قدرتك على صنع استقلال مادي، أي أن يكون لديك فائض يمكنك من خلاله الاستثمار، مما يعود بالفائدة المُضاعَفة.

مشكلتنا في هذا الزمان أن أبواب الاستهلاك صارت كبيرة مع كونها للأسف ليست ضرورية.

لقد دعا الكاتب والمفكِّر الاقتصادي الكبير **جلال أمين** إلى نقد الحالة الشرائية الشرهة للمواطن العربي، والتي تدفعه وهو يتجول في السوبر ماركت أن يحاول قدر الإمكان ملء العربة التي يدفعها، حتى ولو بأشياء ليست ذات قيمة بالنسبة للمشتري، فطريقة العرض، والجو العام والإعلانات المتتابعة تدفعنا إلى محاولة اقتناص متعة لم نصبُ إليها لكنهم - محترفي الإعلان - أخبرونا بأهميتها لنا.

هنا نحن بحاجة، من أجل الوصول إلى مرحلة الاستقلال المادي، أن نتوقف عن الإنفاق غير المنضبط من جهة، ثم البحث عن عادة أخرى تتعلق بالتوفير والاستثمار والتركيز على الاستقلالية المالية من جهة ثانية.

أعود إلى التأكيد على صعوبة التوقف عن عادة ألفناها لفترة، كعادة شراء كل ما نشتهي مثلًا، لكننا حينما نضبط رغباتنا بشكل قوي، ونُحول البوصلة ناحية



الاستثمار والتوفير فستتمكن فعليًّا من عمل التغيير المطلوب، وبعد فترة سنجد أننا تمت برمجتنا على العادة الجديدة.

ثالثًا:

ما هي الخُطة؟

النقطتان السابقتان هما أشبه بالفكرة أو الأُمنية، (**غيِّر عاداتك السلبية – تعلَّم عادات إيجابية**).

لكن هذا لن يحدث بواسطة التمنِّي أو الرغبة فقط، نحن بحاجة فعليَّة إلى خُطة واضحة للوصول إلى ما نشتهي.

في المثال الشخصي المتعلِّق بي كانت خُطتي تقتضي أن (**أقرأ، أُراقب، أسأل**) أقرأ عن مشكلتي وكيف يمكن التغلُّب على داء العصبية والعنف في التعامل، ثم أركز مع سلوكي الإيجابي، وأعتذر عمَّا قد يبدُر مني من سلوك سلبي قديم، ثم أسال أصدقائي ومن أثق بهم كي يقوموني ويُفيدوني بنصائحهم.

لا أُخفيك سرًّا أني واجهتني قضيتان في غاية الصعوبة، **أولهما** عدم إيماني بقدراتي على تغيير عادة سلبية بدت وكأنها متأصِّلة في تكويني الشخصي.

والشيء الثاني هو التشكُّك الذي ظهر في كل من حولي من أهل وأصدقاء والذين توقعوا ألا أنجح في هذا التحدي.

Attention

أعود هنا للتأكيد على أن صدق الرغبة وقوة العزيمة أمران جوهريان في تغيير أي عادة سلبية إلى إيجابية.



نموذج لعملية تغيير عادة سلبية (1)

خطوة 1: تحديد عادة سلبية تود فعليًّا تغييرها، مع تحديد آثارها السلبية على تقدُّمك:

عدم المحافظة على الصلوات الخمس، وخصوصًا الفجر.

(الآثار السلبية: الضيق، الشعور بالحزن وتأنيب الضمير عدم استشعار الرضا والسعادة، غضب الله مني).

خطوة2: تحديد عادة إيجابية بديلة، وكذلك آثارها الإيجابية على تقدُّمك:

المحافظة على الصلوات الخمس في أوقاتها، ومحاولة اللحاق بالجماعة ما تيسَّر لي ذلك.

(الآثار الإيجابية: الرضا عن الذات، الشعور بالراحة والرضا الإلهي، البركة في الرزق والتوفيق في الحياة، دخول الجنة).

خطوة3: خطة عمل

1. الانتباه إلى مواعيد الصلاة، وضبط منبه الساعة، أو مؤقت في جهاز الكمبيوتر الذي أعمل عليه لتنبيهي وقت الصلاة.



2. تنبيه زوجتي أو أخي ليذكِّرني وأذكِّره حال دخول وقت الصلاة.

3. التبرع بمبلغ مالي ما إذا ما أضعت صلاة، أو تأخرت عنها.

نموذجك الشخصي لتغيير عادة سلبية (2)

خطوة1: عادتي السلبية التي أود تغييرها هي:

آثارها عليَّ حياتي هي:

خطوة2: العادة الإيجابية التي أود ممارستها هي:

تأثيرها الإيجابي على حياتي ومستقبلي:

الخطة هي:

1.

2.

3.

لكن الأمور ليست بسهولة جريان القلم على ورقة استبيان، أو نموذج حل لمشكلة!

وهذا اعتراض مشروع لصديق أشعر بالمرارة التي يجدها من جرَّاء المحاولات الكثيرة التي أخفق خلالها في تغيير عادة ما لديه.



كلامك صحيح يا صاحبي، **وخذ مني نصيحة:**

أي شخص يحاول أن يبسط من مقدار مشكلات الحياة فهو ليس بصادق في نصحه، على الجانب الآخر أي تهويل للمشكلة سيُصبح أشبه بالغول الذي يحاول التهام رُوحك ووجدانك.

تعامل مع مشكلاتك وعاداتك السلبية بهدوء وتركيز وانضباط شديد، أعلم أنك قرأت من قبل **قوله تعالى:**

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد: 11)

صدقني هذه الآية تؤكد على أن خالق هذه الأرض والسماوات يعلم بقدراتك وقوتك في تغيير ما يؤلمك، إنه - **جلَّ اسمه** - يُلهب حماستك، ويدفعك إلى الاقتراب خطوات من التغيير والرُّقي.

إن الآية الكريمة تحمل في طياتها بشارة أنك إذا ما بدأت رحلة التغيير في ما تملك تغييره بداخلك وحولك، فإن هناك من سيغير من أجلك ما لا يستطيع كل البشر تغييره، عليك أن تفتح قوس التغيير، وتبدأ في كتابة الحروف الأولى وستجد مَن يتكفَّل عنك بإغلاق القوس، بأفضل وأروع وأبهى ما يكون.

صدقني ستنتصر في تحديك لذاتك، ستصل إلى المربع الأخير إذا ما انتبهت إلى عاداتك، ونمَّيت نفسك، وخضت التحدِّي بيقين كبير في النصر، ستصبح وزيرًا تفعل ما تريد بعدما كنت جنديًّا صغيرًا محدود الخطوات، الشرط الوحيد أن تؤمن بقدرتك في التغيير، ومن ثَم تبدؤه.



(3) كش ملك

كش ملك، العبارة الباعثة على التوتر، عندما تُقال لك تُدرك جيدًا أن هناك خطرًا ما على الأبواب يتهدد ملكك فتشحذ حواسك، وتنبهها كي تتخطى تلك العقبة.

كلما كان خصمك أكثر مهارةً كلما كان سماعك لتلك العبارة متكررًا، ورغم كوننا نكره سماعها، إلا أننا لا يجب أن نُهمل الجانب الإيجابي منها ومن كثرة التهديدات التي تنتابك من خصومك الأقوياء، ذلك أنها ترفع من مهارتك وتنبِّه ذهنك، وتجعلك دائمًا مستعدًّا لأي خطوة قادمة، مهما كانت خطورتها.



كان أحد الملوك العظماء يجلس متفاوضًا مع خصم له، كان الشد والجذب كبيرًا، وكادت المفاوضات أكثر من مرة تبوء بالفشل والخسارة، ظلَّا وقتًا كبيرًا حتى توصَّلا أخيرًا إلى صيغة مقبولة توافقا عليها، وقبل أن يمضي الملك ذاهبًا قال له خصمه في لهجة ساخرة: **آمُل أن تكون جلستنا القادمة في جو أفضل من هذا، وأن تكون رائحة فمك مقبولة حينها!.**

غضب الملك بشدة، لكنه كظم غيظه، وقرر أولًا أن يفهم ما الذي قصده خصمه بهذا الادعاء المُهين.

أحضر الملك وزيره وسأله بوضوح عن رائحة فمه، **هل هي كريهة إلى هذا الحد؟.**

فاقترب الوزير من الملك حتى تشمَّم أنفاسه، ثم قال له خجلًا: العفو يا مولاي، لكنها حقًّا تحتاج إلى علاج ما!

ذهب الملك غاضبًا إلى زوجته الطيبة العفيفة، وسألها زاجرًا: لماذا لم تخبريني من قبل أن رائحة فمي بهذا السوء؟

فقالت له زوجته في صدق: يا سيدي، لقد كنت أظن أن رائحة فم الرجال جميعًا هكذا، ولم أكن أظن أن لديك ثمة مشكلة!.

تنبئنا هذه القصة التي جرت أحداثها في البلاط الروماني القديم بأمر مهم



وهو أن أعداءك أكثر قدرةً على كشف عيوبك، وإظهارها أكثر ممن هم في جانبك ويدينون لك بالولاء.

يمكن للمرء عندما يريد أن يلعب الشطرنج أن يختار خصمًا ضعيفًا هينًا لا يمثل له أي خطر، فينتصر انتصارًا هزيلًا لا يرضى به سوى من يبحثون عن أصغر المكاسب وأتفهها.

لكن اللاعب المحترف يبحث عن أشد الخصوم قوةً وأكثرهم دهاءً، فيستدعي كل طاقته وتركيزه ومهاراته ثم يجلس قبالته متحفزًا، ومتحديًا، ومتعلمًا.

الخصم القوي هو الذي يكشف الثغرات التي توجد في خططك، هو الذي يسخر من أوهامك وادعاءاتك فيُعيدك إلى النظر فيها، هو الذي يصنع المستحيل كي يُظهرك على حقيقتك، فتستفيد منه بقدر ما تتألم من ضرباته الموجعة.

كثير من البشر، للأسف، يقعون في خطأ متكرر وهو الهروب من التحديات الكبيرة، لأنها تستوجب منهم قدرةً عاليةً على التحمُّل والمخاطرة، ويميلون إلى مسالمة الحياة، حتى ولو على حساب طموحاتهم، بل على حساب إمكاناتهم وقدراتهم العالية، والمُشاهد لمن يتدبر في الحياة أنه دون منافسين أقوياء من حولنا يُصيبُنا التبلُّد والخمول، بينما وجود منافس قوي في أعقابنا يُلهب حماستنا، ويُهيِّج هِمَمَنا، ويشحذ تركيزنا.

ولعل هذا ما ذهب ببعض الباحثين إلى القول بأن السبب الرئيسي للفقر في

أفريقيا يعود إلى حالة الرخاء التي عاشتها أفريقيا منذ القِدَم، فالأرض الخصبة والأشجار المثمرة، والماشية الكثيرة، والأنهار التي تجري حاملةً المياه العذبة، كل هذا دفع المواطن الأفريقي إلى الكسل وعدم بذل الجهد.

تدور الأيام وتتوالى السنون ويهبُّ العالم ليواجه تحديات كثيرة تدفعه إلى التفكير والتصادُم والتدافُع المثمر، فينتج حلولًا مستمرةً، وأفكارًا متجددةً، ورؤًى خلَّاقةً، وأصدقاؤنا في أفريقيا لا يزالون يصطادون ويجنون ويأكلون ويشربون من رزق الله الواسع، حتى إذا ما تغيَّرت الحال وكثُر العدد، وصار الاستهلاك أكبر من الإنتاج، كانت المجاعة القاتلة، وزحف الموت ليحصد ملايين الأرواح التي ليس لديها أي مناعة أو حصانة تقيها من الظروف القاهرة.

بينما دولة مثل اليابان والتي تفتقر إلى المقومات الطبيعية ولا تملك من الثروات الشيء الذي يُذكَر، والتي ما تفتأ ترتاح إلا ويُصيبها زلزال أو إعصار أو بركان فيُخسرها الشيء الكثير، إلا إنها ارتقت عاليًا في سلم التقدم والرُّقيِّ وكأن أزماتها المتوالية زادتها قوةً وصلابةً وشموخًا، ليصبح العقل الياباني دليلًا على النباهة والنبوغ.

وهنا نسأل:

هل وجود تحدٍّ ما هو الذي يحفزنا، وينظم جهودنا، ويجعلنا دائمًا في حالة انتباه واستعداد تام؟

دعنا نعود إلى ثلاثينيات القرن الماضي لنرى إجابة هذا السؤال على لسان





الزعيم الصيني الشيوعي «**ماوتسي تونج**» فمما يذكره التاريخ أنه في عام 1937 قامت اليابان باحتلال الصين، في ذلك الوقت كانت الصين تدور فيها حرب أهلية بين الشيوعيين والوطنيين، وعندما بدأ الغزو رأى الشيوعيون أن يتركوا الوطنيين كي يوقفوا الزحف الياباني وحدهم دون أن يشتركوا في صِدام ربما يُخسرهم أو يُضعفهم، لكن زعيمهم «**ماوتسي تونغ**» كان له رأي آخر، وهو أن هذه الحرب هي أفضل إعداد وتدريب وشحذ لقوى الشيوعيين الرثَّة المتداعية وأن اليابان لا بد وأن تنهزم لعدم قدرتها على احتلال الصين بمساحتها الشاسعة الكبيرة، وتم تبنِّي خطة ماوتسي ونجحت، وعندما انسحب اليابانيون كان الشيوعيون قد صاروا أكثر تنظيماً وخبرةً، وتمكنوا من هزيمة الوطنيين.

وبعد سنوات من هذه الحرب، زار وفد ياباني الصين، وعندما حاول أحدهم أن يعتذر لماوتسي عن فترة الحرب والاحتلال، قاطعه ماوتسي قائلًا:

«لا، بل يجب أن أشكرك أنا بدلًا من ذلك، إننا ما كنَّا لنصبح أقوياء دون خصم قوي عنيد!».

هذه الرؤية الفريدة التي طرحها ماوتسي تضعُنا أمام سؤال آخر مهم:



هل معنى هذا أن نلقي بأنفسنا في أقرب حرب قادمة كي نصبح أقوياء؟

والإجابة: لا، طبعًا.

خطة الزعيم الصيني كانت تعتمد على رؤيته التي كانت تذهب إلى أن النصر مؤكَّد، لأسباب واقعية، أهمها امتداد أطراف الصين، وهو ما يُصعِّب من مهمة الخصم الياباني.

مما يعني أن هذا التحدي أو تلك الحرب معلومة نتائجها، فلنكن نحن صُناع هذه النتيجة، ولنستفد من خوض المعركة.

وهذا ما يجب علينا نحن أيضًا فعله، ألا نُلقي بأنفسنا في أي معارك، وهذا ما ربَّى عليه النبي ﷺ أصحابه حين قال:

«لَا تَمَنَّوا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَسَلُوا اللهَ الْعَافِيَةَ فَإِذَا لَقِيتُمُوهُم فَاصْبِرُوا».

رواه البخاري

ذلك أن تمنِّي الحرب لا يليق بأصحاب الرسالات النبيلة، لكن التجارب أكَّدت كثيرًا على أن الطموح في نيل السلام يجب أن يستتبع قدرة كبيرة على التجهُّز للحرب، ذلك ما قرره ربنا - سبحانه وتعالى - علينا بقوله:

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾

الأنفال : 60



وما أكده كذلك الفيلسوف **فيغتيوس** قبل أربعة قرون من ميلاد المسيح عليه السلام بأن «**ذلك الساعي إلى السلام فليتأهَّب للحرب**».

إنها معادلة متشابكة كالحياة، إن الطموح لنيل الراحة يحتاج أن نجهز أنفسنا للتعب، والوصول إلى السلام مرتبط بقدرتنا على الحرب، والنوم العميق لا يأتي قبل السهر الكثير والمجهود المضني.

وجه آخر إيجابي لتحديات الحياة يبيِّنه لنا ربنا - سبحانه وتعالى - إذ يؤكد لنا في كتابه الحكيم مفهومًا في غاية الأهمية والخطورة، وهو أن الاحتكاك والمنافسة والتدافُع بين القوى المختلفة هو السبيل الوحيد لعمران هذه الأرض، والمانع الأساسي لخرابها، يقول سبحانه:

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ٢٥١﴾

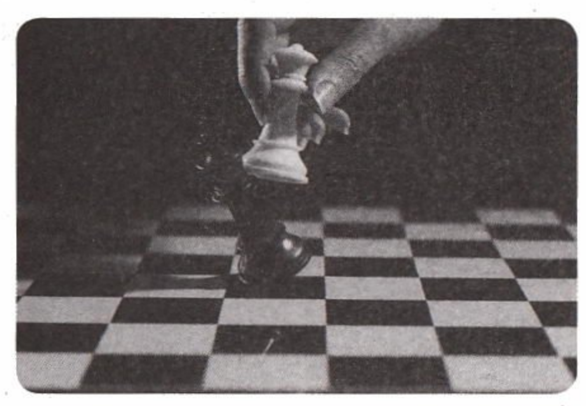
البقرة : 251

انظر هنا يا صديقي لتدرك أن التنافُس أو التدافُع ليس شرًّا، ولا باعثًا على التوتر، وإنما وسيلة نمنع بها الأشرار من إفساد الأرض وتخريبها، بالإضافة إلى أن التدافُع والتنافُس مع قوى الشر هو الذي يُنضِجنا، ويجعلنا دائمًا في خطوات متواصلة من إعادة تقويم الذات وإصلاح العيوب، والانتباه المستمر لخطواتنا وما يبدُر منَّا.

يقف د. **عبد الكريم بكَّار** أمام هذه الآية مستخرجًا رؤيته واجتهاده الخاص القائل بأنه:

«ما دامت وضعية المدافعة في الحياة تحول دون فساد الأرض؛ فإن على أمة التوحيد أن تعمل على إيجاد أوضاع تتحقق فيها المدافعة في كل دوائر الحياة وعلى كل مستوياتها: في الأسرة والمدرسة والجامعة ودوائر الحكومة والمؤسسة والشارع، وذلك من خلال إرساء أعراف ونظم تُتيح النقد الذاتي والغيري وتسمح بالمراقبة والمحاسبة لكل من بيده سُلطة عامة، كما تسمح بمقارعة الحُجَّة بالحُجَّة وتمحيص البحث بالبحث والفكرة بالفكرة، والنظرية بالنظرية»[1].

واسمح لي أن أختم معك هذه الفقرة بتوضيح رسالتي، وهي أن:



المكسب الكبير والنصر الرائع لا يتحققان إلا بتحديات كبيرة، ومجابهة خصوم عنيدة، نعم ستكون هناك آلام ومصاعب وأوجاع، لا بأس، فكما يقول الأديب الراحل توفيق الحكيم: «**لا شيء يجعلنا عظماء غير ألم عظيم**» وأي هروب من هذه المواجهة لن يوفر لنا الراحة أو الهدوء الذي نظن، بل تخلينا عن المواجهة والتحدي سيدفعنا إلى التخلي كذلك عن قمة طموحنا وأحلامنا، وفي الغالب سندفع ثمنًا مُضاعَفًا، وهو ثمن الخوف والرهبة والعيش على هامش أحلام وطموحات الآخرين الذين امتلكوا الشجاعة على المواجهة.



(1) مقال بعنوان تحدي الرخاء! ـ د. عبدالكريم بكار.



(4) الأيدي المرتعشة

التفكير الهادئ والتركيز أمران جوهريان للاعب الشطرنج لكن طالما اتخذت قرارًا فلا يجب أن تتراجع للخلف مرةً أخرى إن التردُّد يدفعك إلى اتخاذ قرارات خاطئة، ويُشتِّت من تركيزك ويُظهرك بمظهر الفاقد للثقة المضطرب، وهذا مما يدفع خصمك للتعامُل معك على أنك لُقمة سائغة.



«إننا نقتل أنفسنا عندما نُضَيِّق خياراتنا في الحياة».

كانت هذه هي العبارة التي ردَّدها المناضل الأفريقي **نيلسون مانديلا** على نفسه لمدة ثمانية وعشرين عامًا، هي مدة بقائه في السجن بتهمة الانقلاب المسلَّح ضد قوى التمييز العرقي في جنوب أفريقيا.

أن تُسلَب حُريتك كل هذه المدة وأنت مؤمن أن لديك خيارات لا يجب أن تُضيِّقها لأمر يستحق العجب والدهشة، لكن الأكثر غرابةً هو رفض **نيلسون مانديلا** للعفو الذي كاد يصدر عنه عام 1985 مقابل أن يُعلن وقف المقاومة المسلَّحة، فكانت النتيجة أن ظل في السجن خمس سنوات أخرى، انتهت بخروجه منه في 11 فبراير 1990 بعد محاولات مُضنية وناجحة من المجلس الأفريقي القومي، والضغوطات الدولية على الحكومة العنصرية في جنوب أفريقيا.

وفي عام 1994 جلس **نيلسون مانديلا** على كرسي الحُكم في جنوب أفريقيا لتتحطم على يديه وبسبب مثابرته وعناده غطرسة القوى العنصرية، وتنتهي رسميًّا دولة التمييز العنصري.

وفي يوم توليه الرئاسة وقف مانديلا مخاطبًا العالم، مُستلهمًا من عِبرة ربع قرن في السجن



دروسًا يُصدرها إلى مزعزَعي الشخصية، الخائفين من الحياة، ومن مواجهة ما تأتي به الأيام، **قائلًا:**

«**كلنا يسأل نفسه في انكسار**: من أنا حتى أكون متميزًا، ولامعًا، وعظيمًا؟

وكان الأجدر بنا أن نسأل: ما الذي لا نصلح أن نكونه؟ إننا نصلح لكل شيء.

إنك خليفة الله في الأرض، وتقليلك الدائم من شأن نفسك لا يصب في خدمة العالم الذي خلقت من أجل إعماره.

هل تعلم لماذا ولدنا؟

ولدنا كي نُظهِر عظمة الله الكامنة في نفوسنا.

- لا أقول نفوس البعض، بل نفوسنا جميعًا، فكلنا بلا استثناء لدينا نور داخلَنا يستحق أن نفسح له المجال ليخرج.

  وعندما نسمح له بالخروج فإننا نُضيء - في الوقت ذاته - الطريق للآخرين كي يقوموا بالشيء نفسه.

  وعندما نتحرر من مخاوفنا، وقلقنا، ورهبتنا، فإننا نُحرر الآخرين كذلك مما يكابدونه في الحياة».

أسوأ شيء يا صديقي أن تعيش مرتبكًا، خائفًا، غير آبه بالدور الذي خُلِقتَ له في الحياة، في الوقت الذي يتمتع فيه غيرك بثقة وقوة كبيرة



تؤهلهم لحصد مكاسب عدة بالرغم من قدراتهم المحدودة.

في لعبة الشطرنج التردُّد يعني الخسارة، والقانون يقول هنا: «**الأسود دائمًا تحوم حول الفريسة المتردِّدة**»، نعم إن لديهم حاسة مدهشة لإدراك مَن مِن القطيع مرتبك ومتردِّد، فيكون هو الهدف الذي يُلاحقونه دون غيره.

الإنسان الواثق الجريء يوحي دائمًا لمن حوله أن زمام الأمور بيديه وأنه غير قابل للهزيمة أو الانكسار.



مانديلا في خطابه السابق بدا وكأنه يريد تحطيم أغلالنا التي كبلنا بها أنفسنا ثم توهَّمنا أن هذا قدرنا الذي لا مهرَب منه.

صدقني، لست أبحث عن دغدغة مشاعرك بكلام تحفيزي يسحرك، أنا أحاول فعليًّا تنبيهك إلى أحد أخطر ما نفقده في الحياة، **الثقة والجرأة والإقدام.**

أحاول أن أطرد هذا المانع الذي يؤخر تقدُّمنا في الحياة، والمُسمَّى بالخوف.

ذلك الذي يُضخِّم الأشياء، ويصنع منها غولًا كبيرًا، ويمتد في فراغ عقولنا وقلوبنا فيسيطر عليها ويجعلنا دائمًا مُرتبكين فاقدي السيطرة على أمورنا وخطواتنا وأهدافنا.

ولكن مِن ماذا نخاف؟

ربما نلتمس العذر لأبنائنا حينما يرهبون الأشباح ويخافونها، حيث حداثة



السن، وخصوبة الخيال تدفعهم إلى ذلك، لكن المدهش أننا، عندما نكبر، **يتحول خوفنا الأسطوري هذا إلى خوف من نوع آخر.**

نخاف من التجربة، والاجتهاد، نخاف من سخرية الآخرين إذا فشلنا نخاف من اهتزاز صورتنا أمام أنفسنا أو أمام الآخرين إذا لم نحقق ما نصبو إليه نخاف أن نقع فنخسر كل شيء.

نعم، عندما نكبر يصير ذعرنا وخوفنا مركزًا على كل ما من شأنه أن يكشف جوانب جديدة في شخصيتنا، ويدفعنا إلى التحدي والاقتحام.

وصدقني، إن أكثر الأشياء التي نخافها مكانها فقط في عقولنا.

في عام 2011 حطَّم شباب خمس دول عربية حاجز الخوف، وانطلقوا يزأرون بكامل أصواتهم، فكان الربيع العربي، ومن ثَم طُرِحت الأسئلة المؤلمة:

هل فعلًا كان الطغاة بمثل هذه الهشاشة؟

هل أخطأ جيل آبائنا ومن سبقونا عندما صنعوا من الخوف حاجزًا ضخمًا منعهم لسنوات طوال تبلغ الثلاثين أو الأربعين عامًا، فكانت بلدانهم مرتعًا للظلم والفقر والاستعباد؟

هل كان ما يخافون منه كبيرًا وضخمًا فقط في عقولهم؟

أسئلة صعبة، وإجاباتها ربما تكون مؤلمة!

لكن دعونا نعترف أن معظمنا يخاف، حتى وإن زارت أذهاننا أفكارٌ جريئةٌ فإننا غالبًا ما ندعها نائمةً في العقل دون أن نُخرجها للحياة، خوفًا من العواقب التي قد تكون مؤذيةً، للأسف هذا الخوف يقوِّض مواهبنا، ويقصقص أطرافها ولا ينجو من هذا سوى الجريء الواثق.

ولعلي بك يا صاحبي تسألني:

وهل الجرأة تولد مع الواحد منَّا؟

وأُجيبك بأنها كذلك، لكن مع القليل جدًّا من البشر، بينما السواد الأعظم من الناس يتعلمونها، وينمونها، ويصقلونها.

خذها قاعدة حياتية: العباقرة، والشجعان، وخارقو الذكاء، والموهوبون النابغون في أي تخصص لا يزيدون عن ١٪.

حتى إن النبي ﷺ ينبهنا إلى تلك الحقيقة بقوله: **«الناس كإبل مائة قلَّما تجدُ فيها راحلة»**.

في أي تخصص أو مجال تسري هذه القاعدة، غالبية البشر هم مثلي ومثلك تتفاوت مواهبهم وقدراتهم، لكنهم في المنطقة الوسطى، والتفاوت بينهم لا يكون كبيرًا أو شاسعًا.

يضعنا هذا أمام الحقيقة المهمة، وهي أن الجزء الأكبر من منصة النصر والتتويج يحتلها أشخاص مثلنا، استطاعوا أن يعلوا بمستوى **الجرأة والإقدام والثقة بالنفس لديهم**.

ولعلي هنا أسمعك وأنت تطرح سؤالًا مشروعًا عن الطريقة التي أُعلي بها ثقتي بنفسي، واسمح لي أن أدفع لك بالحكمة القديمة التي تقول:

«إذا ما أحببت أن تتعلم السباحة، فارم بنفسك في النهر!».

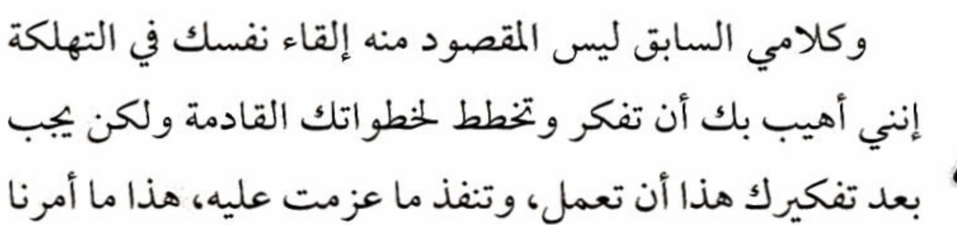
أرض المعركة هي التي تصقل مواهب وقدرات الرجال، وتخلق القائد وترفع من شأنه.

وصدقني قليلة هي التجارب التي تكسر الظهر، والذين يموتون وهم يولون الأدبار أضعاف من يموتون وهم مقبلون بحزم على التحدي.

يجب أن تواجه مخاوفك بشجاعة، وسيظهر الأمر على حقيقته، ستجد أن كثيرًا مما ترهبه ليس له مكان على أرض الحياة، وأن يدك المرتعشة يمكنها أن تكون أكثر ثباتًا لو أعطيتها الفرصة كاملة.

وطبيعة الحال تقتضي ها هنا أن نوضح أن هناك ثمة فروقات بين الثقة والغرور، وبين الشجاعة والتهور.





وكلامي السابق ليس المقصود منه إلقاء نفسك في التهلكة إنني أهيب بك أن تفكر وتخطط لخطواتك القادمة ولكن يجب بعد تفكيرك هذا أن تعمل، وتنفذ ما عزمت عليه، هذا ما أمرنا به ربنا جل اسمه في كتابه الحكيم:



«فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ». (آل عمران : 159)

نؤمن جميعًا أن الحياة تُعاقب المتهور، لكننا لا نؤمن بنفس القدر أنها تُعاقب المتردد كذلك!

هل تعلم أن المهارات، والقدرات، بل والأفكار والمشاريع تضمر وتضعف وتموت؟.

نعم، لو امتلكت مهارة ولم تنمِّها وتستغلها ستضمر، كأي عضلة في جسدك لا تستخدمها.

وإذا زار ذهنك مشروع، أو جادت عليك قريحتك بفكرة مبدعة فطال أمد تفكيرك فيها دون أن تجعلها شيئًا ملموسًا، فستُفاجأ بها وقد نُزِعَت منها الرُّوح وباتت أشبه بجثة هامدة!.

أو كما يُسمِّيها شيخنا الجليل محمد الغزالي في كتابه «**جدِّد حياتك**» بالأحلام اللذيذة فيقول:

«إن المجد والنجاح والإنتاج يظل أحلامًا لذيذة في نفوس أصحابها وما تتحول حقائق حية إلا إذا نفخ فيها العاملون من رُوحهم ووصلوها بما في الدنيا من حسٍّ وحركة».



فكِّر وخطِّط جيدًا، ثم أنفذ ما قررته بقلب ثابت وإياك وأن ترتعش يداك.................................





5. التركيز

لا يبدأ اللاعب الماهر لعبته إلا وهو في قمة تركيزه يعرف جيدًا ما الذي يود الحصول عليه، لحظة تشتُّت واحدة يمكن أن تقلب الطاولة، وتُخسره الشيء الكثير، لذا فهو لا يسمح لخصمه أن يُمارس ضِدَّه أيَّ ألاعيب نفسية ولا يسمح لذهنه بالانشغال بما هو خارج الرقعة.



يُحكَى أن حصانًا تقابل مع أوزة، فنظرت له الأوزة نظرة كبر واستعلاء وقالت له: لا تتفاخر بارتفاعك وسرعتك، فأنت سجين بيئة واحدة لا تفارقها، تأكل العشب، وتسير على الأرض، لكني لو تدري أعيش في بيئات ثلاث، فأنا أمشي وقتما يحلو لي، وأطير إذا ما أحببت، وإن شئت سبحت في مياه النهر في استمتاع إنني لست مثلك سجينة تلك البيئة الواحدة!.



فنظر لها الحصان قائلًا: صحيح أنك تسكنين في ثلاث بيئات، لكنك إن شئتِ الصدق لستِ متميزة في أيٍّ منها، انظري لنفسكِ وأنتِ تطيرين لا تملكين رشاقة الصقر أو حتى الحمام والعصافير، فلا يحق إذًا أن تتباهي بطيرانك، وأنتِ كذلك تسيرين على الأرض ولكن أي سير ذلك الذي تتحدثين عنه برقبتك الطويلة ورجفتك الدائمة من كل شخص يحاول الاقتراب منك؟.

وتسبحين نعم، لكن سباحة ليس لها قيمة، تنسابين فوق الشط الهادئ وأتحداك أن تطلبي رزقك من البحر كالأسماك، أو تعومي في الأعماق أو بين الأمواج...

أما أنا فأنتمي إلى بيئة واحدة نعم، لكنني إذا ركضت كنت منافسًا حقيقيًّا لكل أهل الأرض في السرعة، وأنا أملك من تناسُق الجسد، وقوة العضلات



والقدرات الجسمانية ما يميزني ويجعلني ذا صفات فريدة، أنا أنتمي للأرض لكنه انتماء قوي يميزني، وليس انتماءً شرفيًّا كانتمائك!.

هذه القصة الرمزية العبقرية التي كتبها الطبيب والأديب الإنجليزي **جون إيكين**، تضعنا أمام قضية مهمة **وهي قيمة التميُّز الكامل في أمرٍ ما، في مقابل تميُّز منقوص في أمور شتَّى**.

يحلل بقصته البسيطة نفسية البعض ممن يتعاملون مع الحياة بمنطلق ضربة هنا، وضربة هناك، فيعيشون في وهم امتلاك التميُّز من أطرافه كلها، بينما الحقيقة أنهم لا يحق لهم التفاخُر بعناوين برَّاقة لا يتبعها مضمون ذو قيمة!.

يؤكد الفيلسوف الألماني **نيتشه** أن:

«قوة العقل في التركيز والكثافة، وليس في التمدُّد والانتشار».

وهي مقولة عميقة حقًّا، فكلمة السر في إصابة هدف ما تتمحور في قدرة المرء على تركيز ذهنه، ورُوحه، وعينه، على ذلك الهدف وما السهام الطائشة التي تتساقط بعيدًا عن أهدافها إلا برهانًا على تشتُّت الذهن وتعدُّد مآربه.

إن الضرب المتكرر على الجدار الصلب ولمدة طويلة كفيل بتحطيمه، وهذا ما يحدث تمامًا للمرء عندما يركز كامل مجهوده وتفكيره وعطائه، فتتحطم تحت ضربات الإصرار المتتالية المُركَّزة المصاعب والعقبات، ويُصبح الوصول إلى الهدف مسألة وقت.

أحب دائمًا أن أنظر لموقعة «**أُحُد**» نظرة تأمل مستمرة، حيث إنها كانت أول هزائم المسلمين وأقساها، وأفدحها خسارةً.

في تلك المعركة كان أمرُ النبي ﷺ واضحًا لسلاح الرُّماة بأن يلزموا أماكنهم فوق الجبل حامين ظهور المقاتلين في الأسفل، ومن أجل إيضاح مقصده، وزيادة تركيز الرُّماة على هذا الأمر المهم قال لهم ﷺ:

(إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أُرسل إليكم، وإن رأيتمونا هزمنا القوم ووطئناهم فلا تبرحوا حتى أُرسل إليكم).

ومضى الأمر كما خُطِّط له تمامًا.

حتى إذا ما أصبح النصر قاب قوسين أو أدنى، خالف مُعظم الرُّماة، أربعون راميًا من أصل خمسين، أمر النبي ﷺ وهبطوا لجني الغنائم والمكاسب، فتلقَّفها جيش العدو وعادت جحافلهم المنهزمة مرةً ثانيةً واستغلوا الثغرة وضربوا ضربتهم القاسية على المسلمين، فقتلوا منهم عددًا كبيرًا في مشهدٍ سماه ربنا سبحانه وتعالى في القرآن الكريم بالمصيبة...

﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥﴾

آل عمران : 165

مؤكدًا - جلَّ اسمه - أن هذه الهزيمة أو المصيبة سببها الرئيسي هو المخالفة الصريحة لأمر النبي ﷺ، واختلال خطة النصر، وغياب التركيز.



على المستوى الشخصي يمكننا أن نذكر عادات كثيرة للنجاح والنصر، لكننا لو دقَّقنا لوجدنا أن الخيط الذي يربط كل العادات ببعضها البعض هو التركيز.

التركيز على الهدف يجعلك أكثر تفاعُلًا مع الوقت وتنظيمه وإهمال الأعمال التي تضيِّع وقتك.

التركيز على مهاراتك ونقاط قوتك يدفعك إلى تنميتها والاهتمام بها.

التركيز على الأولويات يدفعك إلى محاصرة ما هو خارج نطاق هذه الأولويات ومنعه من الانتشار في حياتك والتهامها.

يؤكد هذا المفهوم الأديب الألماني جوته بتأكيده:

> «إياك وتشتيت قُواك، كافح من أجل تركيزها على هدف مُحدَّد، البعض يظن أن تمام العبقرية يكون في فعل أشياء كثيرة مما يُجيده الآخرون، لكن الحقيقة أن الندم سيلاحقهم حينها، لأن تشتيت القوى هو إساءة استهلاك للمواهب والقدرات».

في الماضي كان يمكننا أن نجد العالِم الموسوعيَّ، الذي يُجيد علومًا مختلفة، **كابن رشد** مثلًا، والذي كان فيلسوفًا، وطبيبًا، وفقيهًا، وقاضيًا، وفلكيًّا، وفيزيائيًّا **وابن الهيثم** والذي أثرى الحياة بإبداعات فريدة في الرياضيات، والبصريات والفيزياء، وعلم التشريح، وعلم الفلك، والهندسة، والطب، وطب العيون والفلسفة، وعلم النفس، والإدراك البصري، كذلك فنان عصر النهضة **ليوناردو دافنشي**، كان مهتمًّا بالهندسة المعمارية، والميكانيكا، والنحت، والرسم.



لكن العالم اليوم صار متجهًا إلى التخصُّص، وأصبح ضروريًّا أن يفتش المرء في صندوق مواهبه وقدراته عن شيء أو اثنين على الأكثر مما يتميز فيه ويركز عليه، ويعطيه جُلَّ وقته وتفكيره ودراسته واهتمامه.

ومن المشاهد في الحياة أن هناك مواهب فذة قضى عليها التشتُّت، وأشخاصًا متميزين تفرق تركيزهم محاولين جني أكبر المكاسب في أكثر من اتجاه، فكانت النتيجة أنهم لم يبزغوا في تخصُّص بعينه، وقضوا أعمارهم في تحصيل نتائج ربما تكون جيدة مقارنةً بمن حولهم لكنها أقل بكثير مما كان يجب تحقيقه، إنهم أشبه بمن أشعل الشمعة من طرفيها بُغية الإضاءة والتألُّق بشكل أوسع فكانت النتيجة أنهم أحرقوا طاقتهم دون تحقيق المراد.

بلا شك هناك استثناء لهذا الأمر، هناك عباقرة قد يجتمع فيهم ما تشتَّت في غيرهم ولديهم قدرات فذة في النبوغ في مواقع عدة، لكنهم قِلة من البشر، بينما البشر بشكل عام لا يمكنهم ذلك.

لكن التركيز صعب في زمن مليء بكثير من المُشتتات!

وهذه جملة حقيقية لا مراء فيها، كثرة التفاصيل في حياتنا جعلتنا مُرهقين على الدوام، كثرة أحلامنا، تعدد اهتماماتنا، تشابُك مصالحنا، ثِقل التزاماتنا، كلها أشياء تأخذنا بعيدًا عمَّا نأمُله ونرتجيه، حتى إن الدراسات الحديثة تؤكد أن المكالمات الهاتفية والمقاطعات أثناء قيامنا بعمل ما يشتت من



تركيزنا لمدة زمنية ونحتاج لمجهود حقيقي كي نعود إلى ما كنَّا نفعله، يزيد الأمر ارتباكًا أنه حتى الأفكار العشوائية التي تزور أذهاننا تأخذها بعيدًا وتشتتها وتشوش من تركيزها، فما بالك بما هو أكبر من ذلك!.

يضعنا هذا أمام التسليم بحقيقة أننا نحيا في زمن تسكننا تفاصيله، وأن التركيز فيه صار لونًا من ألوان الجهاد، لا يقدر عليه إلا أولو العزم من البشر!.

لكن هذا التركيز المفقود لدى معظمنا إن تحقَّق، وفَّر لنا جانبًا كبيرًا من التميُّز حيث يصنع ما يشبه المصفاة التي تحجب الشوائب وتبعدها عن الخُلاصة.

ومما يكرره دائمًا أساتذة الإدارة أن انشغال ذهنك بأمر ما يجعلك مهتمًّا به وكانوا يضربون مثلًا بمن يريد أن يشتري شيئًا ما، وليكن سيارة «تويوتا» مثلًا فتجده منتبهًا إلى هذا النوع من السيارات، ويُلفت نظره هذا العدد من سيارات «تويوتا»، يُخيَّل إليه حينها أن السماء قد أمطرت سيارات «تويوتا» بألوان وأشكال وموديلات مختلفة!.

طبِّق هذا الأمر على أي شيء تفكر في اقتنائه، ستجد أن ذهنك بدأ في ملاحظة هذا الشيء والانتباه له.

يدلل هذا على أن تركيز التفكير على شيء ما يصنع ما يشبه التوحُّد معه والانجذاب له، وهذا حاصل مع كل شيء في حياتك، ولذلك نبَّه كثير من علماء الإدارة وعلم النفس على أهمية أن يكتب الإنسان أهدافه بوضوح على الورق ويكتب أيضًا خُطط العمل والأفكار والطُرق التي توصلنا إلى هذا الهدف



مؤكدين على أن الصياغة الدقيقة لأهدافنا تنبِّه الذهن، وتنشِّطه، وتصنع تفاعُلًا ذهنيًّا يجعله يقظًا دائمًا لالتقاط ما من شأنه أن يُفيده في تحقيق هذا الهدف.

كثيرٌ من التركيز يجبُر الكسر

كما ذكرت فإن حياتنا اليوم صارت مُعقدة، وصار الطامح في التميُّز فيها بحاجة إلى آليات واستراتيجيَّات عدة، **أرى أن التركيز من أهمها.**

كثير من أصحاب التجارب الناجحة يؤكدون ما ذكرناه آنفًا من أن التركيز على مهارة يمتلكها - وإن لم تكن خارقة - من شأنه أن يرفع المرء إلى مصاف المتميزين والعباقرة، حيث يجبر التركيز الحاد أي قصور في الموهبة، وفعليًّا إذا ما تأملنا في قصص نجاح **ستيف جوبز** مؤسس شركة آبل، أو **جي كى رولينج** مؤلفة سلسلة هاري بوتر وأشهر كاتبة معاصرة، أو الداعية الشهير **عمرو خالد** أو حتى لاعب الكرة المصري **محمد أبو تريكة**، سنجد أن بعضهم لا يملك موهبة فذة، نعم لديه موهبة بلا شك، لكن البراعة الكاملة تأتت من تركيزه على شحذ هذه الموهبة والتعب من أجل تأكيدها.



أديسون قال قديمًا: ما وصلت إليه لا تتعدى نسبة العبقرية فيه 1% والباقي هو جهد وتركيز وتعب وعرق جبين.

وتشارلز ديكنز - أحد أعظم الروائيين الإنجليز - يؤكد قائلًا: **إنني لم**



أكن لأحقق النجاح دون عادات الدقَّة والنظام والاجتهاد والتصميم على التركيز في مهمة واحدة كل مرة.

دفع هذا الكاتب الأمريكي المهتم بتنمية الشخصية وتطويرها، جاك **كانفيلد** للتعليق قائلًا: **إن النجاح والرُّقي ليس مسألة براعة وحنكة بقدر ما هو مسألة تركيز.**

إنك يجب أن تتعلم كيف تجهض أي عمليات تشويش تقوم بها الحياة ضدك وذلك يكون بوضوح أهدافك وخططك ورؤيتك، بأن تكون إجابة السؤالين المهمين **(ماذا أريد؟ - وكيف أحقق ما أريد؟)** ماثلة أمام عينك، وحاضرة في تفكيرك على الدوام.

للعلم أنا لا أقصد فقط العظيم من الخطط والمشاريع، بل حتى البسيط منها كخطتك مثلًا من أجل التدبير المالي، أو التغلب على سلوك سيء كالعصبية أو الخجل، ركز جدًّا على ما تريده وبشدة كي يمكنك إنجازه بنجاح.

عليَّ هنا التنويه إلى شيء جوهري في عملية التركيز وهو أن نعوِّد أنفسنا دائمًا على الإتيان بالأعمال والمهام المطلوبة منَّا بغض النظر عن قابليتنا النفسية لذلك من يتابع كتاباتي يقرأ أنني أؤكد على أهمية أن نستمتع بما نعمل، وأن نُقبل على أعمالنا بنفس منشرحة وقبول نفسي وذهني.

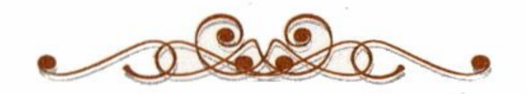
لكن الحقيقة أن الحياة في أوقات ما لا تكون ممتعة كما نتمنى، مما يعني أن الإنسان لو ربط إنجازه للأعمال والمهام بحالته النفسية لتعثَّر وفقد الكثير.



التركيز هنا مهمته الأساسية أن يدفعنا بقوة إلى العمل والإنتاج الحقيقي ومخالفة أنفسنا التي تميل إلى الدعة والكسل والراحة، الطالب الذي ينتظر إقبال رُوحه على الاستذكار لن يذاكر، والموظف الذي لا يذهب لعمله إلا مبتهجًا في الغالب لن يذهب، والكاتب الذي ينتظر الوحي لن تنتظره المطبعة أو الجريدة.

نحن بحاجة شديدة إلى أن نتقن فن إرغام النفس على إنجاز المهام بغض النظر عن قبولها من عدمه، وهذا ركن أصيل من أركان التركيز، وعادة جوهرية من عادات المثابرة وعلو الهِمَّة.

الخبر الجيد أنك بعد فترة من ترويض نفسك على العمل والإنتاج ستجد أنها تعودت على ذلك بغض النظر عن الظروف الخارجية والحالة النفسية، وأن تركيزها على إنهاء الأعمال صار ديدنها وطبيعة متجذرةً فيها.





6. القرار واتِّساع الخيارات

لعبتك القادمة ربما ترى خياراتها محدودة، أنت تختار بين أربع أو خمس حركات على الأكثر، هل ستُحرك البيدق، أم الوزير، أم الحصان، أم الملك؟

الواقع يؤكد لنا أن أي خيار ستقوم به سيستتبع مجموعةً أخرى من النتائج، وبالتالي اتساع دائرة الاختيارات بمعنى أدق أن حركتك الآن ستحدد بشكل كبير مجموعة حركاتك القادمة وتحدد حقيقة موقفك المستقبلي.



هل تسمح لي أن أطلب منك أن تُغمض عينيك قليلًا، وتتأمل موقفك الحالي «**المالي، أو العائلي، أو النفسي، أو الاجتماعي**»، ثم تعود بذاكرتك إلى الخلف وتتأمل بتدبُّر القرار أو الخطوة التي اتخذتها فأتت بك إلى تلك البقعة، وشكَّلت واقعك الذي تعيشه الآن؟.

مما لا يريد البشر مواجهته بشجاعة أن موقفهم في الحياة هو نتيجة مباشرة لخياراتهم وقراراتهم التي اتخذوها يومًا ما، حتى أولئك الذين سيهزون رءُوسهم في أسى وهم يؤكدون أن غيرهم هو الذي قرر لهم، وصاغ بدكتاتوريته حياتهم أحب أن أصدمهم كذلك بقولي:

إن صمتك تجاه انتهاك البعض لحياتك - مهما كانوا قريبين منك - هو في حد ذاته قرار، وخذلانك عن التمسك بحقك في اتخاذ القرار المناسب هو إقرار صريح بأنك قد فوَّضت غيرك بتسيير دفة حياتك.

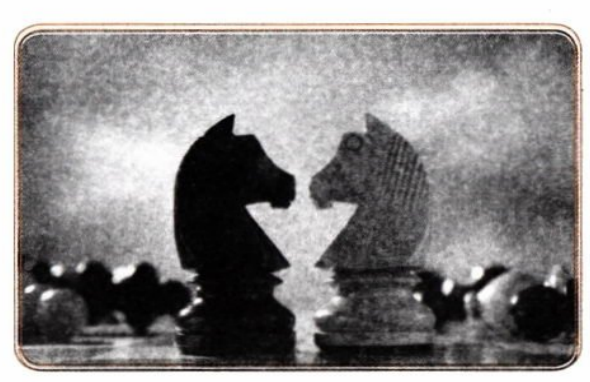
وذلك لأن الإنسان هو الابن الشرعي لقراراته التي يتخذها في الحياة.

قراراتك هي التي تصنعك، تُعيد تشكيل ملامحك، ترفعك أو تخفضك تُسكنك بين النجوم وتُمجِّد ذِكرَك، أو تُلقي بك في دروب النسيان.

في لعبة الشطرنج، ورغم وجود القليل من الاحتمالات، نظرًا لمحدودية



خياراتك في كل حالة أو موقف، إلا أنه يتولد الكثير من الاحتمالات إذا نظرنا بعمق لنتيجة كل حالة وموقف.



تحريكك للحصان، مثلًا، يعني أنك نقلت المعركة إلى منطقة معينة من رقعة الشطرنج، وستدفع خصمك للتعامل مع هذا الخيار، والاتجاه نحو تلك المنطقة من الرقعة دون غيرها، وستكون تلك الخطوة ذات أثر مستقبلي على فوزك أو خسارتك، ستكون جوهرية في التأثير على باقي تحركاتك.

هذا في لعبة الشطرنج بمحدودية خطواتها، وقراراتها، فما بالك بالحياة ذات الخيارات المتعددة المتشعبة، والاحتمالات اللا نهائية!.

تأمل معي قصة **بلال بن رباح** الذي وُلِدَ عبدًا لا يعرف سوى طاعة الأوامر ظل يعمل في الخدمة والرعي والسقاية حتى استوى عوده وصار شابًّا يافعًا.

كان عبدًا عاديًّا، يُشبه مئات وربما آلاف العبيد الذي يتحركون وفق أوامر أسيادهم، وعندما سمع بأمر محمد ﷺ انشرح قلبه، رأى في تلك الدعوة - السرية حينها - آفاقًا واسعةً وبراحًا نفسيًّا ورُوحيًّا لا يجب تجاهله، حينها قرر بلال.

وعندما نقول قرر يجب أن نزيد من علامات التعجب، لأن العبيد آنذاك لم يكن لها حق القرار!.

لكن بلال تخطَّى كل علامات التعجُّب، فقفز فوقها جميعًا وأخذ قرارًا نهائيًّا دامغًا باتِّباع هذا الرجل الصادق، والإيمان برسالته.

لقد اتخذ العبد الحبشي الأسود قرارًا ذهب به إلى علوِّ الذِّكر بعدها بسنوات وحتى اليوم، ليصبح مؤذِّن الرسول ﷺ، ويصعد على الكعبة يوم فتح مكة ليؤذِّن أذان النصر، ويرتفع ذكره كذلك في الآخرة فيبشَّر بالجنة، ولقد ثبت أن النبي ﷺ سأله ذات يوم:

«يا بِلالُ، حَدِّثني بأرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ في الإسلامِ، فَإنِّي سَمِعتُ دَفَّ نَعلَيكَ بينَ يَدي في الجنَّةِ».

لكن دعونا لا نتخطى حاجز الزمن، ونقر أن بلال عندما اتخذ هذا القرار الحاسم بأن ينضم للمعسكر الأفضل ويكون جنديًّا للخير، كان هذا المعسكر مضطهدًا ويتلقَّى من صنوف البغي والاضطهاد والتنكيل أشكالًا وألوانًا.

إن هذا القرار الحاسم من بلال استتبع مجموعة كبيرة من القرارات بعدها منها:

الصبر على التعذيب، والهجرة **في جوف الليل مع المهاجرين**، و**حمل السيف والقتال يوم أُحُد**، والكثير من الخيارات التي أفرزها قراره الأول، بينما كان رضاؤه بالواقع، والتعلُّل بكونه عبدًا لا يملك من أمره شيئًا، والعيش في كنف

أسياده، ورضاه بما ارتضوه له، سيُضيِّق من دائرة الخيارات وسيجنِّبه كثيرًا مما لاقى وكابد.

ولكن تظل النتيجة النهائية في المغنم الذي حصده بلال بن رباح رضي الله عنه.

هو بلا شك لم يكن العبد الوحيد في مكة، لكنه العبد الأول الذي بادر واتخذ قرارًا خطيرًا، وكسر قيود الواقع، وبالتالي توج بوجوده ضمن المبشَّرين بالجنة ورفقة رسول الله ﷺ في الدنيا والآخرة.

في الوقت الذي آمن فيه بلال، وعُذِّب، ونُكِّل به، كان هناك رجلٌ آخر من كبراء مكة وسادتها، بل ويرتبط بقرابة بالنبي ﷺ، وهو عبد العزى بن عبد المطلب، عم النبي ﷺ، كانت قرابته من النبي صاحب الرسالة وعزته وشرفه كرجل من رجالات بني هاشم عوامل تؤكد انحيازه للدعوة الشريفة ونُصرتها لكن القرار الذي اتخذه هذا الرجل كان مغايرًا لتلك التوقُّعات، لقد رأى أن نزول الرسالة على يتيم بني هاشم - كما كانوا يسمونه - أمرًا معيبًا، وأنه - عبد العزى - هو الأحق بها، والأجدر بحملها، وفق المنطق الذي يراه ويؤمن به.

وجهر الرجل بعداوته لابن أخيه، وحاربه، وآذاه هو وزوجته، وأسماه «مُذَمَّمًا» وهي عكس مُحمَّد، فذهب به خياره إلى أن فقد كل شيء، ومات متحسِّرًا بعد أيام من معركة **بدر** التي منعه المرض من المشاركة فيها، وصار عبد العزى بن عبد المطلب والمُكنَّى بـ «أبي لهب» **ملعونًا في قرآن يُتلَى آناءَ الليل وأطرافَ النهار.**



إن خيار **بلال** ﷺ فتح أمام عينيه متسعًا من الخيارات الأخرى العظيمة وكان خيار **أبي لهب** كذلك مفتاحًا لخيارات أخرى بالغة السوء.

أعود إليك يا صاحبي وأتساءل:

هل خياراتك التي تتخذها في الحياة تكون قائمة على رؤية وفهم ووعي بواقعك، أم أنها قرارات تُتَّخَذ وفق رؤيتك الآنية وواقعك القريب دون النظر إلى المستقبل بمستجداته وما قد تأتي به الأيام ويخفيه القدر؟

هل لديك هدفٌ ما يسكن في مُخيِّلتك وتُجِدُّ السَّيرَ إليه وتُوازِن بين البدائل المختلفة لتختار أفضلها وأكثرها فائدةً لك ولهدفك، أم أنك تنتهج العشوائية كطريقة عيش لك في الحياة، وتعيش اليوم بيومه، ولكل وضع حالته؟

> ما أتعس الذين تمضي حياتهم خبط عشواء، لا يمدون شعاع بصيرتهم كضوء الشمس المستقيم لينيروا به ضباب المستقبل ويرتبون أوضاعهم الحالية وفق ما يأملون ويتمنون ويخططون!.

الله سبحانه وتعالى يأمرنا بذلك في قوله: **«وَلتَنظُر نَفسٌ ما قدَّمتْ لِغَدٍ»**.

ولن يكون هذا النظر ممكنًا إلا بتوفُّر حزمة من الأهداف المستقبلية، والرؤية الواضحة التي تفيدنا في أي قرار نتخذه أو خطوة نخطوها.

ولعل السؤال الذي يطرح نفسه الآن:

هب أني اتخذت قرارات لم أكن موفَّقًا فيها، أعاقتني كثيرًا عن المضيِّ قُدُمًا، هل



من الممكن أن أُعيد ترتيب أوراقي، ومعالجة قراراتي الخاطئة السابقة، والبدء من جديد؟

في أهم وأخطر أمورنا وهو أمر الآخرة والحساب يبشِّرنا الله سبحانه وتعالى بأننا نملك المقدرة على إعادة ضبط البوصلة في الاتجاه الصحيح طالما لدينا بضعة أنفاس ولو محدودة في هذه الدنيا!.

يقول النبي ﷺ: «**إنَّ الله عزَّ وجَلَّ يقبَلُ توبةَ العبدِ ما لَم يُغرْغِر**».

من باب أولى فإنه في أمور الدنيا يمكننا تصحيح أخطائنا كذلك.

لقد ذكرت لك موقف كلٍّ من **بلال بن رباح** رضي الله عنه، **وأبي لهب** عليه لعنة الله بيد أن التاريخ يخبرنا أنه كان هناك أشخاص إلى جانب أبي لهب، كعكرمة بن أبي جهل مثلًا، الذي ذهب في عداوة النبي مذهبًا جعل النبي ﷺ يستثنيه من العفو الذي أصدره لمشركي مكة بعد فتحها، ويطالب برأسه حتى وإن كان مُعلَّقًا بأستار الكعبة، فكان أن هرب عكرمة بعيدًا عن مكة، ومع مرور الوقت راجع عكرمة نفسه، وحاسبها، وأدرك أنه بعداوته لتلك الرسالة قد اتخذ الخيار السيء وأنه يركن إلى الجدار الخاطئ، فتاب واستغفر وعاد إلى الطريق المستقيم فتحول من مجاورة أبيه - أبي جهل - وأبي لهب في النار، لمجالسة النبي ﷺ وبلال وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي، عليهم جميعًا رضوان الله.

أكرر: حياتك هي مجموع قراراتك، رحلتك هي مجموع خطواتك.

إذا اقتنعنا بهذا فسندرك جيدًا كيف أننا بحاجة لأن نتعلم كيفية اتخاذ القرار



مؤمنين بأن قراراتنا هي التي تشكِّل مستقبلنا، وتُبنَى على أساسها حياتنا كلها وأنه لا ينبغي الركون واليأس والانكسار إن أخطأنا في قرار أو خطوة ما.



فإمكانية التصحيح متاحة دائمًا، بشرط أن تكون لدينا الشجاعة الكاملة لمواجهة النفس، وتحمُّل المسئولية، والصبر.





7. الملك هو الملك!

لا فائدة من الملك على الإطلاق، علينا أن نقر بذلك ولكن دونه لا يوجد معنى أو قيمة أو حتى لعبة تسمَّى بالشطرنج، لا يتحرك ولا يتعاون، وأقصى ما يمكن أن يقدمه لك هو خطوة لا أكثر، وفي الغالب تكون لهروبه الشخصي، إنه لا يُبالي بالقطع الأخرى.

ورغم ذلك فهو المحور، ودونه ينهار كل شيء!



الكل يعمل من أجل إنقاذ الملك، بينما الملك - بقدراته المحدودة - يحاول دائمًا إنقاذ حياته، نُضحي بجميع القطع من أجل تأمين سلامته، وهو لا يملك أي نوازع هجومية يساعد بها نفسه.

هو محور اللعبة، ومن أجله يتراص العساكر، وتقفز الأحصنة، وتمرق الخيول ويهاجم الوزير، وتسير القلعة - الطابية - يمينًا ويسارًا، هو في الحقيقة أساس اللعبة وجوهر وجودها.

فالحفاظ على الملك في لعبة الشطرنج هو الهدف.

منتهى أحلام لاعب الشطرنج وغاية مراده أن يحافظ على ملكه سليمًا غير مُحاصَر، وأن يعمل في المقابل على محاصرة ملك خصمه ليصبح فائزًا، هذا في لعبة الشطرنج.

أما في الحياة فالحفاظ على الهدف هو الملك!

يحمل الإنسان دائمًا هدفًا يريد الوصول إليه، فيبذل الجهد المُضاعَف، ويُلقي بنفسه في جملة من المخاطر والمصاعب والتحديات، راضيًا غير متأففٍ أو مُعترض، وغاية مُناه في نهاية المطاف أن يُعانق حُلمه، ويهنأ بتحقيق هدفه.

الهدف ثابت، ونحن نتحرك، نلعب بكل ما نملك، نُخطط وندبر، ونحن نُمني النفس أن يكون تدبيرنا موفَّقًا وخطواتنا سديدةً.



وفي طريقنا للهدف نواجه مصاعب وتحديات، ربما نمضي عامًا أو أعوامًا في التعلُّم والدراسة لأنه لا سبيل سوى ذلك للوصول إلى الهدف، ربما نسافر ونكدح لأن هذا هو الطريق الأقرب أو ربما الوحيد للفوز بالهدف، بل ربما نضطر للتضحية بما هو غالٍ على أنفسنا، ونُدير الظهر لميزة ما يتمناها غيرنا ونتركها غير حزانى لأن وراءنا هدفًا ما نود الوصول إليه.

ربما نتحمَّل اللوم كثيرًا، نواجه اعتراضات مُتعدِّدة، نخسر من لا نريد خسرانهم، نحارب من لم نتوقع محاربتهم، **والسبب هو إصرارنا على أن لا شيء يجب أن يعطلنا عن الهدف!.**



في لعبة الشطرنج أنت تفعل كل شيء من أجل الملك.

وفي الحياة تصنع كل ما يمكنك صنعه من أجل أحلامك وأهدافك.

ويوم يضحِّي لاعب الشطرنج بالملك، فهذا يعني خسارته، حتى وإن كانت رقعته مليئة بالقطع الأخرى، فلا قيمة تُذكَر لأي شيء دون الملك.

ويوم تضحِّي أنت بحلمك، وإن كان في حياتك ما يمكن أن تُظهره كمكاسب حققتها في مشوارك، إلا أنك - وفي قرارة نفسك - تعلم أنك خاسر.

نعم، خاسر إن لم تحافظ على هدفك وحلمك في الحياة.

الواقع يقول أن أحلامنا تتساقط منَّا ونحن نمضي في مشوار الحياة، هجمات

المسئولية والالتزامات، ومتطلبات المعيشة تفرض علينا أسلوبها الخاص، فنلعب ونحن لا نستشعر عدم وجود الملك.

ننتقل من يوم لآخر، من حالة لغيرها، نتفاعل بنشاط كامل مع قضايانا الحياتية ونجعلها هي حياتنا، ونكتشف بعد فترة تطول أو تقصر إلى أننا قد تركنا خلفنا أحلامنا التي لم نتصور قط أن نحيا دونها.

صديقي أحمد كان يحلم بالالتحاق بكلية «**الفنون الجميلة**»، لكن أباه كان يريده مهندسًا معمارياً، رضخ أحمد لرغبة الأب، هو اليوم في منتصف الثلاثينات يمارس مهنة لا يحبها كثيرًا، يجادلني أحمد بأن الأمر لم يكن بيديه، وأن الآباء يأمرون ولا يطلبون، لكنه في نهاية النقاش يعترف بندمه الشديد لأنه لم يحارب من أجل ما يحلم به.

سُميَّة، الطبيبة التي تخلت عما تحب كي تُرضي أمها بلقب «**أم الدكتورة!**» حسام الذي سحبته مطالب الحياة عن تحقيق حلمه في أن يكون شاعرًا، محمود الذي درس ما لا يحبه، وعمل فيما لا يحب وسافر لبلد لم يحبه، كل هؤلاء أعرفهم بأسمائهم، وأعرف أيضًا حقيقة شعورهم وهم يحيون دون أهدافهم الحقيقية... دون الملك.

> **الحياة هي كما لو أن ملكًا أرسل شخصًا إلى بلاد لكي ينجز مهمةً محددةً، يذهب الشخص وينجز مئات الأشياء، ولكن إذا لم ينجز ما طُلِبَ منه، فكأنه لم يفعل شيئًا قطّ!**
>
> جلال الدين الرومي



حلمك هو الملك، إذا آمنت بهذا حقًا فستضحي بكل شيء من أجل أن يعيش حرًا، لتعيش معه وبه.

حلمك لن يبذل جهدًا ليتقدم خطوة إليك، أحلامنا في معظم الأحيان تتسم بالجفاء، أشبه بحبيبة قاسية، بقدر ما نشتهي وصلها بقدر ما تستمتع هي بالدلال والإعراض، لا تقترب منًا لتهوِّن من صعوبة الطريق، نحن المطالبون بكل شيء نُضحي، ونتعب، ونبذل الجهد، نواجه حملات التشكيك، وتثبيط الآخرين وهي ثابتة مكانها، لكننا مع ذلك لا نشعر بذواتنا إلا عندما ننتصر، ونعيش الحلم الذي حققناه بتعبنا وجهدنا.

وهنا يظهر سؤال: متى يمكن أن يودع المرء أحلامه، ويُطلق أمانيه، ويرضى بواقعه؟.

في الحقيقة أميل إلى عدم الاستسلام إلى الواقع بقسوته وأحكامه، وأحب اللجوء دائمًا إلى التعامل بذكاء وفطنة من أجل الحصول على ما نشتهي ونرغب.

لذا فأنا أؤمن بأنه ما دام الملك حيًّا فلا زال الوقت متسعًا للنصر، ففي الحياة كما في الشطرنج، وجود الملك حيًّا يعني أن هناك فرصة قائمة للعب والمنافسة وإن كانت خسائرك الماضية فادحة أو مؤلمة.

الأمر قد يحتاج منك إلى تعب ومجهود إضافي، وربما خارق، لكن الخبر السار هنا أن هناك ثمة نسبة للانتصار، كما ذكرت لك فإن الكثيرين ضحوا بأحلامهم وعاشوا في غربة نفسية، لكني كذلك يمكنني استدعاء قصص من مخزون الذاكرة

لكثيرين استطاعوا أن يُعيدوا ترتيب حياتهم بعد مرور مدة من السير في الطريق الخاطئ، الأمر هنا يتعلق بالقرار الذي ستتخذه من أجل وقف نزيف أحلامك وإعطائها قُبلة الحياة.

إن العيش الحقيقي هو العيش وِفق عالم صنعتَ أنت الجزء الأكبر من مفرداته وأركانه، وشكَّلته وفق ما تتمنى وتأمل، وحتى الموت الذي يرهبه معظم الناس، سيكون يسيرًا عليك غير مؤلم، إذا شعرت أن حياتك الماضية كانت انعكاسًا لحلمك وهدفك، وأنك استطعت رغم ما قابلتَ من مصاعب وتحديات أن تحتفظ بالملك حيًّا حتى النهاية.





8. بأيهما تلعب؟

لكل قطعة على رقعة الشطرنج مزية، تظهر فقط عندما يكون الوقت مناسبًا، والظروف ملائمة، فمن مميزات الحصان مثلًا أن لديه قدرة القفز فوق الآخرين، لذا فإنه يصعب مُحاصرته، لكنه مع ميزته هذه لا ينطلق سوى ثلاث خطوات فقط، ولولا محدودية خطواته لأصبح الأفضل بين قطع الشطرنج بلا منازع، تظهر موهبته عند ازدحام الرقعة، ويمكنه تقديم حلول سحرية وقت الأزمات.

بينما الطابية - القلعة - في المقابل تتحرك باستقامة في الجهات الأربع ما لم يكن هناك مانع أو عائق، ليس من شيمتها التلاعب أو المراوغة، لكنها للأسف مقيدة الحركة في البداية، تحتاج لمساحة كي تتألق، فإذا ما توفرت هذه المساحة كانت كالقاطرة يصعب إيقاف زحفها.

ذكاء اللاعب يتوقَّف إلى حد كبير على قدرته على استغلال قدرات كل قطعة، وتحريكها في الوقت المناسب.



يقول المثل الإنجليزي: «عندما يكون البحر هادئًا يُظهر جميع البحَّارة مهاراتهم الفذَّة».

وهذا أمر مُشاهَد في حياتنا، فعندما تكون الأوضاع مستقرة يتحدث الجميع عن قدراتهم المُبهرة، بينما القدرات الحقيقية للأشخاص لا تعلن عن نفسها سوى وقت الضغوط والأزمات.

وعلى رقعة الشطرنج يتشابه الوضع، عندما تُحاصَر وترى خصمك قد أحاط بك، تبدأ من فورك في الدفع بمن يستطيع أن يفتح الثغرات، ويمتص الهجوم ويُغيِّر دفة المبادرة لتصبح لك بعدما كانت عليك!.

لاعب الشطرنج الماهر يدرك أن لكل مرحلة أسلوبًا وتكتيكًا، وكذلك عنصرًا بعينه هو الذي يمكنه التفاعُل والحركة.



ففي الوقت الذي نجد فيه أن المسافات الضيقة هي التي يتألق فيها الحصان بشدة، نجد أن المساحات الواسعة هي ميدان الطابية، بينما الفيل يميل إلى تخويف الجميع بمراوغته المائلة، أما الوزير فالأمر مختلف حيث كل الأوقات وقته، وكل الأزمان زمانه!.

وفي الحياة يجب على الإنسان أن يتعامل بآليات مختلفة ومتعددة مع الأزمات

فهو مُطالَب كي يربح وينتصر أن تكون لديه دائماً مجموعة من المهارات والأفكار الإبداعية، والخطط والتصورات المتباينة، والقدرة على التعامل بمرونة مع الضغوط التي تمر به، فهناك مشكلات متشابكة تستدعي هدوءًا ورويَّةً وضبط نفس، حيث التعقيدات الموجودة لا يصلح معها الحل الحازم السريع، وهناك في المقابل مشكلات يكون أيُّ تباطؤ في حلها مدعاة لتكاثرها، وإنتاج مشكلات أخرى تعمل على تعقُّد وتشابُك الأمر مما يُصعِّب من حلِّه.

هناك مشكلات علاجها الوحيد هو الزمن، وهناك مشكلات أخرى تكبر مع الزمن.

أكبر أخطائنا في حل الأزمات والمشكلات أننا لا نرحِّب بوجود مشكلة، لا أقصد أن نستقبل الأزمات بحفاوة فهذا مما لا يُعقَل...

لكن هناك فرقًا بين الشخص الذي يعمل وفي ذهنه أن المشكلات جزء من طبيعة الحياة، وأن وجودها أمر واقعي لا غرابة فيه، وبين مَن يعيش وفي ذهنه خوف ورهبة دائمة من أن تطرق باب حياته مشكلة أو يظهر فيها ما يمكن أن يغيِّر من الوضع القائم.

الأول يتجهَّز دائماً بالحلول والبدائل، ويتفاعل بإيجابية مع أزمات يدرك جيدًا أنها جزء من الابتلاء المكتوب على البشر، بينما الآخر يضطرب ويرتبك ويسقط قلبه بين قدميه من الخوف والقلق.

قُلنا سابقًا: إن المشكلات ليست شرًّا خالصًا، حيث إنها تصنع نوعًا من التحدي الذي يشحذ الهمم ويُلهب الحماسة ويُنشط الذهن، وهذا يستتبع توقُّعًا بظهور مشكلات في حياتنا في أي زمان ومكان.

لعبة الشطرنج بأكملها قائمة على التحديات والأزمات، أنت في اللعب مزدوج التفكير بين الفوز والرِّبح ومحاصرة خصمك من جهة، وبين الهروب من الفخاخ والمشكلات التي يصدرها لك دائمًا من جهة أخرى، والتفوق في كلا الجهتين يتطلب منك هدوءًا وتركيزًا، واللعب بالقطعة المناسبة لخطتك.

وأسوأ عبارة يمكن أن يستفزك بها خصمك أن يقول لك في أسف مُصطنَع: «لقد تسرَّعت»، أو «لقد حركت القطعة الخطأ»!.

في الحياة كما في رقعة الشطرنج، الخطة يجب أن تعتمد على طبيعة الموقف وتداعياته، وربما طبيعة الخصم كذلك.

وهنا نأتي لمربط الفرس، **كيف يمكنني أن أتوازن وأفكر وأختار حينما أواجه المشكلة؟**

حل المشكلات وإدارة الأزمات فرع من فروع الإدارة والقيادة قد يحتاج إلى كِتاب مُستقل، لكنني هنا أشدد على خطأ كبير نرتكبه عندما نتعرض لمشكلة تواجهنا، وهو أننا في الغالب نعمد إلى الإسراع في حلِّ المشكلات والتخلُّص منها بأي وسيلة، لذا كان التحدِّي الأكبر في عملية حلِّ المشكلات هو مقاومة ميلنا إلى الخروج بحل سريع!.



لا عجب في ذلك، إن الإشكالية الأكثر شيوعًا في عملية حل المشكلات هي **محاولة إيجاد الحل فورًا!**.

والسبب في خطورة هذا الأمر أنه يجعلنا نضع **الحلَّ في مقدمة العمليَّة في حين أننا نحتاج إلى أن يكون الحلُّ هو الحلقة الأخيرة فيها.**

عندما يُحاصرك خصمك ويجبرك على تحريك الملك، أنت لا تذهب إلى تحريكه في أي مربع والسلام بحجَّة أن هذا هو الحل أو المهرَب، ولا تُغطيه بأي قطعة كي ينتهي التهديد، بل تدور في ذهنك عملية حسابية معقدة، تبدأ بالتفكير في حقيقة المشكلة **(هل فعلًا الملك مُحاصَر؟)**...

ثم التساؤل عن سبب المشكلة **(ما كان لي أن أحرك الحصان، أو ما كان لي أن أغفل عن تحريكه للوزير)**، بعد ذلك وضع جميع الحلول والآليات المقترحة **(ما هي تداعيات كل حل، وفوائده وخسائره؟)**، وقد تحتاج إلى عمل موازنات **(هل الأفضل التضحية بالحصان أم بالفيل؟)**، وقد يذهب ذهنك إلى التفكير في خطوتك التي تلي خطوته بعد أن تقوم بخطوتك القادمة!.

لو لم يقُم اللاعب بكل هذه الحسابات في ذهنه، وهرع عند استشعاره بالخطر إلى تحريك ملكه في أي اتجاه دون تفكير، فبلا شك لن يطول مكوثه على رقعة الشطرنج، وسيخسر بسرعة قياسية.

هنا أحاول، ودون الدخول في تنظير إداري، أن أنبهك إلى أن مشكلاتنا

وأزماتنا بحاجة إلى عقلية تميل إلى الطرق العملية في حلها، لا العاطفية الاندفاعية وهذه الطرق العملية يمكن تعلُّمها وتبنيها، مما يؤهلك للتعامُل المنضبط الواقعي مع الأزمات والمشكلات.

أحاول التأكيد على أننا يجب أن نمتلك ذخيرة من البدائل، وأن نُحسن استدعاء المناسب منها للمعركة أو المشكلة التي تواجهنا.

تنويه

من الخيارات المهمة التي يجب أن تضعها في ذهنك لأنك ستحتاج إليها في كثير من المعارك «**قرار اللحظة**»، وأقصد به القرار الذي يجب أن يكون سريعًا حاسمًا، ولا يحتمل الصبر أو التأجيل، حيث يكون صبرك آنذاك أشبه بصبر الفلاح على ثماره حتى تعطب، ستحتاج لأن تتقن قرار اللحظة في حياتك لأنك ستحتاجه في أمورك التي لا تحتمل التأجيل، أو التي يكون التمهُّل فيها مُستتبعًا خسارةً فادحةً أو دليلًا على الجُبن والتردُّد.





9. لا تستهن بالعسكري!

كما أنه لا يمكنك أن تركب القطار دون تذكرة، ولا أن تخرج من الدائرة دون إيجاد ثغرة، أيضًا لا يمكنك بدء اللعب دون وجود العسكري، قد تخالفني بأن خطواته قليلة جدًّا، وكثيرًا ما يقيدنا، وقد تنتقد وجوده على الرقعة لكن لا يمكنك ألا تذكره بالخير عندما تقلُّ حاشيتك وتصل به إلى أرض الخصم فيُصبح وزيرًا، دعني أقترح عليك أن تجرِّب مرةً بدء اللعب دون العساكر، وأن تقوم أنت وخصمك بخوض اللعبة بجميع قوانينها، لكن دون وجودهم، وعندها فقط ستكتشف أن خطواتهم القليلة تلك ما هي إلا غطاء كامل لظهرك، وأن حاشيتك تشعر بالأمان لأن هناك من يقف في الأمام يتلقَّى الضربات بدلًا منها، لكن نظرًا لأن العسكري لا يقوم بالمهمة الرئيسية في قتل الملك، فإنك تظنه عاجزًا لا فائدة منه.



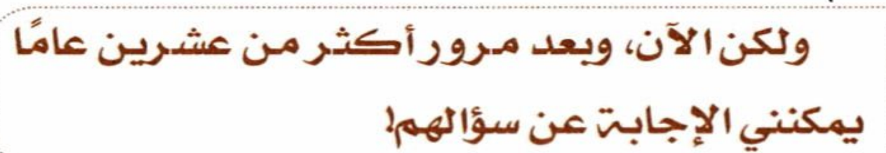
كنت في الحادية عشرة عندما حاصرني كبار العائلة وهم ينعون ضياع مستقبلي إن لم أترك هذه القصص التافهة التي أقرؤها وألتفت لدراستي، في الحقيقة كان لديهم كل الحق في عصبيتهم، فالصبي النابه الذي تصور الجميع أن يسكن اسمه في قائمة المتفوقين صارت شهادته الدراسية صحيفة عار، لو احتفظ بها لخجل منها أحفاد أحفاده!.

وبغض النظر عن عنادي، وعدم التزامي بأوامرهم، وفشلي المتكرر، وحُجَجي بأن المواد التي أدرسها سخيفة ولن تفيدني في حياتي، أقول بغض النظر عن كل ذلك:

كان يستفزني سؤال دائمًا ما يكررونه عليَّ وهو: ما الفائدة التي تعود عليك بقراءة هذه القصص التافهة؟

في الحقيقة لم يكن لديَّ أي جواب أُحاججهم به، فقصص رجل المستحيل وملف المستقبل والمغامرون الخمسة لم يكن فيها ثمة معلومة علمية أو فكرية أرى بأنها ستُقنعهم وتُنهي تساؤلاتهم العصبية.





ولكن الآن، وبعد مرور أكثر من عشرين عامًا يمكنني الإجابة عن سؤالهم!

إنني ما كنت لأقرأ ما قرأت، أو أكتب ما كتبت، ولم أكن لأجوب دول العالم متحدثًا عن كتبي وأفكاري إلا بقراءة هذه الكتب التافهة، كما يصفونها!.

بهذه القصص البسيطة تكوَّن حبي للكتاب، وتعلمت كيف يُعبر المرء عن أفكاره بأفضل الكلمات وأمتعها، تعلَّمت منها أن استضافة العلماء لمجلسي لا يستدعي مني أكثر من دقائق أسير فيها إلى المكتبة.

إنني أدين بكل ما تعلَّمته وأتعلَّمه لهذه الكتب «العظيمة».



وعليه فإن كل مهنة عملت بها، مهما كانت بسيطة، وكل تجربة مررت بها، رغم ما فيها من مرارة، كانا سببًا مباشرًا لتكوين شخصيتي الحالية، وحائط صد منيعًا ضد الحياة وأزماتها، إنها الخبرة التي تبلورت وصنعت ردود أفعالي وتصرُّفاتي ومنطقي في الحياة.

قصير النظر يُعيد انتصاراته دائمًا لقراراته الأخيرة الصائبة، ولا يدرك أن النصر بدأ منذ خطا خطوته الأولى، حتى وإن تعثر بعد ذلك، فعثرته تلك هي التي جنَّبته السقوط فيما بعد.

إن العساكر التي تمتلئ بهم رقعة الشطرنج يصنعون الكثير للملك، رغم تفاهتهم، كما أن تجاربك الكثيرة المستمرة في الحياة هي التي تصوغ نصرك النهائي الكبير.

إننا لا نلتفت كثيرًا يا صديقي إلى العساكر الصغيرة ونحتقر شأنها، تلك التي تُوجد في حياتنا وتتمثل في أصدقاء يدعموننا، أو تجارب مررنا بها، أو سفر

قمنا به فأذاقنا معنى الغُربة والاغتراب، في سنوات قضيناها في تجنيد إجباري أو خدمة عامة، فظننا أنها ضاعت وذهبت هباءً منثورًا.

لا ننتبه إلى أن الخير الذي حدث لنا لم يكن بسبب ذكائنا وعبقريتنا، بل ربما يكون سببه الرئيسي تلك القُبلة التي طبعناها على جبين أمنا فاستنطقت قلبها ليدعو لنا، فكانت الإجابة.

من يستصغر شأن الأمور البسيطة في الحياة في الغالب لا يفقه شيئًا، وفي الغالب أيضًا قد تخاصمه السعادة والحبور، حتى وإن كان غنيًّا أو مشهورًا.

قالوا قديمًا: إن **«الشيطان يسكن في التفاصيل»**، قلت: **والنَّجاحُ والرُّقيُّ والسَّعادةُ كذلك!.**



ليس فقط عساكرك الصغيرة هي التي يجب أن تضعها في ذهنك، وتمتن لها.

أيضا عساكر خصمك يجب تنتبه لها وتقدرها حق قدرها .

فرغم أنك قد تراهم غنيمة باردة، وتتسلى بقتلهم بسهولة، لكنك إذا ما سهوت عن أحدهم غزاك في عقر دارك، وترقّى ليُتوَّج وزيرًا، ليؤلمك بضرباته وخططه!

وهذا حادث مع أخطائك البسيطة في الحياة، مع ذنوبك التي لا تنتبه لتستغفر



الله عنها، من سهوك عن تقدير من يستحق التقدير، أو إعطاء الأمان لمن لا يجب أن تأمن له.

من كلمة تتفوَّه بها، أو نظرة استخفاف تخرج منك، أو حالة نشوة وغرور تتملكك.

خطأ صغير بسيط يمكن أن يذهب بك حيث لم تتوقع، وحينها لا ينفع ندم أو مرارة.

العساكر يا صديقي ذوو أهمية كبيرة جدًا، سواء كانوا عساكرك أو عساكر خصمك، وانتباهك لهذه الحقيقة شيء مهم وضروري، حيث أصول اللعبة تقول أن جنودك الصغار هم عُدتك إذا ما قدَّرت قيمتهم، وجنود عدوك ليس لهم قيمة إن انتبهت لتحركاتهم.



10. لا تستخِف بخصمِك

مهما كنتَ ماهرًا لا تغتر أبدًا، احترم خصومك على الدوام حتى وإن بدا لك أنهم أقل منك مهارةً أو ذكاءً فما أكثر من سقطوا أمام من هم أقل منهم! الاستخفاف يجعلك أقل تركيزًا، وأكثر تسرُّعًا، وأدنى حكمةً، وفوق هذا قد يستفز خصمك فيشعل في قلبه نيران التحدي والإصرار، ويُريك من نفسه ما لم تظن قطُّ أن تراه.



لماذا ننسى دائمًا قصة الأرنب والسلحفاة؟

تلك التي درسناها في سنين حياتنا الأولى، وحاول مدرسونا أن يعلمونا حينها أن الأرنب السريع عندما استهان بالسلحفاة البطيئة وتخاذل وتكاسل في السباق الذي كان بينهما، خسر وندم وتعلَّم الدرس المهم وهو أن الاستخفاف بالخصم مهما كان ضعفه يمكن أن يصنع لنا الكثير من الأمور السيئة.

لماذا ننسى، ونحن نمضي في الحياة، أن نكون أكثر حكمةً وتواضُعًا ونحن نتعامل مع الخصوم والشركاء، بل والمواقف والأحداث، ونصغي أكثر لنتعلَّم ونفهم ونتدبر؟

لن أقول في لعبة الشطرنج يجب ألا تستخف بخصمك، بل سأقول في كل شيء في الحياة، في الألعاب كما في الحروب، في السياسة كما في الاقتصاد، تقديرك لخصمك حجر زاوية مهم في سبيل تفوقك عليه.

في الحقيقة أن نشوة الانتصار، وغطرسة القوة، وغرور السيطرة يفعل بنا ما هو أكثر من الاستخفاف، إنه يُعمي أبصارنا عن رؤية الحقيقة المهمة وهي أن من أعطى يقدر أن يسلب، في أي وقت، ودون سبب!

في أوائل القرن الثالث عشر الميلادي استطاع محمد شاه خوارزم ملك سمرقند، أن يملأ الدنيا بسيرته كملك مهيب، امتدت امبراطوريته غربًا حتى تركيا، وجنوبًا إلى أفغانستان وفرض سيطرته على كثير من بلاد الهند وأفغانساتان



وباكستان وإيران، بيد أن هذا الملك والذي حكم لما يزيد على العقدين من الزمان كان لديه من الغطرسة ما جعله يقطع علاقته بجميع الممالك المجاورة.

كانت جيوشه دائماً في مهمة زيادة رقعة المملكة، وفي عام 1219 استقبل **محمد شاه** رُسُل ملك من ملوك الشرق وهو «**جنكيز خان**» بها من الهدايا الثمينة الشيء الكثير، وطلب من السلطان **محمد شاه** أن يفتح الطريق المار في مملكته إلى أوروبا حتى يتسنَّى لهم تصدير الحرير، وأرفق **جنكيز خان** مع رسالته كثيرًا من عبارات التودد والرغبة في السلام بين الإمبراطوريتين.



لم يكن **جنكيز خان** قد اكتسب شهرته الدموية الكبيرة بعد، لذا لم يعبأ برسالته **محمد شاه**، وسخر من هذا المُدعي الذي يود أن يضع رأسه برأس ملك عظيم مثله.

حاول **جنكيز خان** ثانيةً، فأرسل **لمحمد شاه** قافلةً مليئةً بالمقتنيات النادرة لكن القافلة تم توقيفها وسرقتها من قِبل حاكم نالتشيك وهي المنطقة المجاورة لسمرقند، فغضب **جنكيز خان** لكنه ضبط أعصابه وأرسل **لمحمد شاه** رسالة أخرى يؤكد فيها عرضه مرة ثالثة، ويطالب بمعاقبة حاكم نالتشيك.

لكن **محمد شاه** والذي ضاق برسائل **جنكيز خان** قرر أن يرد بطريقته، فأمر بقطع رأس أحد السفراء، وأعاد السفيرين الباقيين بعد حلق رأسيهما، وهي

إهانة مُرعبة حسب قانون الشرف المنغولي، فاهتز **جنكيز خان** وأرسل رسالة إلى **الشاه** قال فيها:

> «لقد اخترتَ الحرب، وما سيحدثُ سيحدثُ، أما ما هو فلا نعلمه، لكن الله يعلمه».

ثم جهَّز **جنكيز** جيشه وقام بمهاجمة مقاطعة نالتشيك حيث استولى على عاصمتها وأعدم حاكمها بصبِّ الفضَّة المصهورة في عينيه وأذنيه!.

وبعدها مباشرةً قاد **جنكيز خان** غارات في سلسلة من الهجمات غير النظامية - حرب الشوارع - على جيش **الشاه** والذي كان كبيرًا جدًّا مقارنةً بجيش **جنكيز خان**، لكن **جنكيز خان** كان مقاتلًا حقًّا، فقد استغل القدرات العالية في جيشه ومنها السرعة العالية والبأس الشديد، والقدرة المذهلة على إطلاق السهام وهم على ظهر الخيول الراكضة وفي فترة وجيزة استطاع **جنكيز** أن يصل إلى قلب سمرقند ويجلس على كرسي **الشاه**، الذي فر إلى مدينة «أورجندة» والتي اختارها لوقوعها على الشاطئ الغربي من نهر جيحون (نهر أموداريا) والذي سيعصمه من جنود **جنكيز خان** وغضبته!.

> لا تفترض أن خصمك أضعف منك، فبعض الرجال لديهم حُلم يجعل غضبهم من الإهانة بطيئًا، مما يجعلك تخطئ في الحكم على قدرة تحمُّلهم ولا تقلق من عواقب إهانتهم، غير أنك إذا أهنت شرفهم أو عزة أنفسهم انقلبوا لطوفان من الغضب المفاجئ والكاسح.
>
> روبرت جرين



لكن **جنكيز خان** لم يهدأ، فأرسل إليه جيشًا صغيرًا قوامه عشرون ألف جندي فقط، وهو عدد قليل مقارنةً بالمسافة التي سيمضيها مخترقًا مملكة **الشاه** الكبيرة حتى يصل إليه، لكنها بدت وكأنها رسالة استخفاف **بالشاه**، ولم ينس **جنكيز خان** أن يقول لقائد جيشه: «**أبلغ جنودك أن يطلبوا خوارزم شاه أينما كان، ولو تعلق بالسماء!**».

وبالفعل وصل الجنود إلى شاطئ النهر الذي يحتمي به **شاه محمد** وجيشه والذي كان مطمئنًّا لعدم وجود سفن مع جيش التتار توصلهم إليه، فأمن هو وجنوده وقلَّ حِرصهم وانتباههم.

لكن الرياح أتت بما لا تشتهي السفن الناعسة، فقد فوجئ جيش **الشاه محمد** بالتتار بينهم بعدما عبروا النهر في سواد الليل بحيلة مذهلة، حيث صنعوا صناديق خشبية وبطنوها بجلود البقر حتى لا ينفذ الماء إليها، وجعلوا خيولهم أمامهم - والخيول تجيد السباحة - حتى وصلوا إلى الشاطئ الآخر، وكان أن انهزم الجيش تمامًا، وواصل **شاه محمد** فراره إلى أن وصل لجزيرة في وسط بحر قزوين، فاتخذ من قلعة بداخلها سكنًا له.

لكن الرجل لم يستطع أن يحيا في همِّه وكمده كثيرًا فمات بعد عام واحد من فراره داخل القلعة وحيدًا طريدًا شريدًا فقيرًا، حتى إنهم لم يجدوا ما يكفنوه به فكفنوه في قطعة قماش كان ينام عليها!.

إن الغرور يفعل الكثير، لذا من الخطر أن تفترض أن الشخص الذي تتعامل

معه أقل أو أضعف منك، فكثير ممن نظنهم بسطاء عاديين يطوون أفئدتهم على تصميم راسخ إن استفززته ظهر وبان.

لكننا للأسف في غمرة تسرعنا وغرورنا لا ندرك هذا الأمر إلا بعدما نخطئ في حساب قدرتهم على التحمُّل، فنُفاجَأ بردهم المؤلم وتدبيرهم المذهل.



أتمنى ألا ننسى قصة الأرنب الذي استهتر بمنافسه فخسر السباق، ولا بالشاه محمد الذي اغتر بقوته فخسر حياته ومن قبلها شرفه الملكي والعسكري.

واحترم دائمًا خصومك في الحياة.





11. الهروب فن

حتى الهروب فن، يمكنك أن تُعيد قطعتك للخلف إذا ما شعرت أن هناك ثمة شيئًا يُنذر بالخطر، الحرفية هنا في كيفية التراجُع دون أن تجعل ظهرك مكشوفًا، وثغراتك واضحة لخصمك، كيف يمكن أن تصفِّي الذهن من توتُّر التراجُع - المُهين أحيانًا - كي تقتحم مرةً ثانيةً بقوة أكبر.



كعادته في نشر دعوته كتب النبي ﷺ إلى ملك بصرى من أرض الشام يدعوه إلى الإسلام، وكانت وقتئذٍ تحت الحماية الرومانية، وأرسل له الحارث بن عمير الأزدي رسولًا، فما كان من ملك بصرى إلا أن قتل رسول رسول الله ﷺ في سوء أدب وخرق للقوانين التي تجرِّم قتل الرُّسل.

حينها غضب النبي ﷺ ودعا الناس للخروج ومقاتلة الروم، وسرعان ما اجتمع عنده ثلاثة آلاف مقاتل.

خرج الجيش حتى وصل أرض الشام وفوجئ حينها أن هرقل قائد الروم قد نزل بجيش قوامه مئتا ألف جندي، كان الأمر مفاجئًا لجيش المسلمين فقضى ليلتين يتشاور فيهما قادة وكبراء الجيش في أمرهم، **هل الرجوع أفضل أم القتال؟**.

كان الرأي الغالب أن يرسلوا لرسول الله يستشيروه، بيد أن عبد الله بن رواحة رضي الله عنه ألهب حماستهم، وأمرهم أن يتجهزوا لخوض حرب إن لم تكن هي النصر فستكون الشهادة وبوابة العبور إلى الجنة.

فنزلوا جميعًا عند هذا الرأي وتجهزوا للقاء الجيش الكبير، كانت المفاجئة من نصيب جيش الروم حينما هجم جيش المسلمين الصغير وبادروا هم بالضربة الأولى، كان قتالًا عنيفًا مريرًا له حساباته الخاصة، بسالة الجيش الإسلامي وصلابته كان لها الدور الكبير في إزعاج الجيش الجرار.



واستمر القتال عنيفًا قويًّا، حتى جدَّ أمرٌ يحتاج إلى تدبير خاص، ذلك أن النبي ﷺ كان قد وضع على رأس الجيش قائدًا هو زيد بن حارثة، **وقال:**

(إن قُتِلَ زيدٌ فجعفر، وإن قُتِلَ جعفر فعبد الله بن رواحة)...

وقد حدث أن سقط القادة الثلاثة قتلى، وصار مركز الصدارة والقيادة خاليًا فاصطلح المسلمون على أن يتولّى القيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه، وفعلًا تسلم خالد الراية وحارب ببسالة كبيرة، كان يتحرك كالأسد الهصور، كان ملهمًا لجنوده ومهيجًا لحماستهم، حتى إنهم رأوا كيف تكسَّرت في يده تسعة سيوف من شدة الضرب وقوة البأس، لكن الوضع في مجمله كان صعبًا ويحتاج لتدبير وبُعد نظر فبرغم أن الجيش المسلم كان يبلي بلاءً حسنًا، إلا أن عددهم القليل لا يمكن أن يصمد في مواجهة هذا الطوفان الكاسح، والوقت إن طال فلن يكون لصالحهم حيث يتيح لجيش الروم أن يستريح بعضهم ويقاتل البعض الآخر في الوقت الذي لا يستريح فيه جيش المسلمين.

كان على خالد الذي تسلَّم دفة القيادة بغتة أن يبرم أمره، وكانت خطة خالد العبقرية التي أخرجت المسلمين من هذا الموقف العصيب.

في البداية أمر خالد جيشه بأن يصمد في قتاله للروم حتى تغيب الشمس ويلجأ الفريقان إلى النوم، في المساء لجأ خالد إلى الحرب النفسية، والتي اعتمدت على خطوات...

الخطوة الأولى أن يرحل بعض الجنود في الظلام حتى يختبئوا عن الأنظار



فإذا كان الصباح عاد الجنود إلى الجيش مهللين ومكبرين وهم يثيرون سحابة من الغبار كي يوحوا لجيش الروم أن هناك مددًا قد أتى إلى المسلمين.

الخطوة الثانية أن يتبادل الألوية.

ولشرح الأمر ببساطة فإن الجيش يتكون من ثلاث مجموعات «**ألوية**» **مَيمنة ومَيسرة وقلب**، في كل يوم تتجه مجموعة الميمنة في جيش المسلمين لتتلاقى مع مجموعة بعينها في الجانب الآخر، وبالتالي صارت الوجوه شبه معروفة بين الجانبين، وطريقة القتال للمجموعات باتت مألوفة، وعندما تبادلت المجموعات أماكنها ظهر لجيش الروم أن هناك ثمة وجوهًا جديدةً قد زادت في الجيش، ومع ربط هذا الأمر بالغبار والمدد الذي رأوه في أول النهار، فقد تأكد جيش هرقل أن المسلمين قد أتاهم مدد مما يؤكد استمرارهم في القتال ولا نية لديهم في التراجُع أو الانسحاب.

بعد ذلك كانت الخطوة الثالثة في خطة خالد، أن يهجم المسلمون بشراسة أكبر وأن يتوغلوا في قلب جيش الروم بشكل أعمق مع المحافظة على تنظيمهم.

وبالفعل كانت هجمة الجيش المسلم موجِعة في ظل حالة قلق بدأت تنساب في جيش الروم.

في ذلك الوقت أتت تعليمات خالد بن الوليد بتنفيذ **الخطوة الرابعة** وهي الانسحاب المنظَّم البطيء، هنا حدث الارتباك الذي خطط له خالد، فقد ارتبك هرقل وقادته، فما الذي يعنيه الانسحاب وقد باتت الكفة تميل إلى خالد وجيشه



وفي الوقت الذي أتاهم فيه المدد والعون، وذهب رأيهم إلى أن في الأمر ثمة خدعة ومكيدة، وأن الأسلم هو عدم مهاجمة جيش المسلمين المنسحب، وكان هذا ما يخطط له خالد بالضبط، الانسحاب بالجيش المُتعَب دون خسائر، وهي معادلة صعبة جدًّا، وجميع القادة في التاريخ حديثه وقديمه يؤكدون على أن خطط الانسحاب فاتورتها باهظة الثمن.

نجح خالد في خطته العبقرية ولم يلحق به جيش الروم الذي لم يستوعب المكيدة بسهولة، تؤكد كتب السِّيَر أن خسائر المسلمين في هذه الحرب كانت فقط اثني عشر شهيدًا، في مقابل ثلاثة آلاف وثلاثمائة وخمسين قتيلًا في جيش الروم وهذا لو تدري أمر يشبه الخيال!.

لكن المدهش في الأمر أن جيش المسلمين والذي عاد إلى المدينة المنورة قوبل من أهلها بالنقد وأهالوا عليهم التراب وهم يهتفون فيهم بالتقريع واللوم قائلين:

«يا فُرَّار - أي يا هاربين - فررتم من الجهاد ومُلاقات العدو»...

ذلك أن الفرار من ملاقات العدو والتولي يوم الزحف شيء ليس بالهين في العقيدة الإسلامية.

لكن هل يمكن أن يُسمَّى ما فعله خالد وجيشه فرارًا ؟

كان هذا هو السؤال المطروح في أذهان العائدين من أرض المعركة، وقد بدا لهم أن ما ظنوه نصرًا كان شيئًا سيِّئًا ومعيبًا، حتى إن ابن هشام ذكر في سيرته أن



أم سلمة رضوان الله عليها سألت زوجة ابنها عنه قائلةً: **مالي لا أرى سلمة يحضر الصلاة مع رسول الله ﷺ ومع المسلمين؟**

فقالت لها: والله ما يستطيع أن يخرج، كلما خرج صاح به الناس يا فُرَّار فررتم في سبيل الله، حتى قعد في بيته فما يخرج.

في ظل هذا الالتباس الموجود كان النبي ﷺ حاسمًا في إظهار حقيقة الأمر ووضع الأشياء في نِصابها الصحيح، فقال مُخاطبًا أهل المدينة:

«ليسوا بالفُرَّار، ولكنهم كُرَّار، إن شاء الله».

والكُرَّار هم العائدون لمُلاقاة عدوٍّ اقتضت الحاجة الانسحاب من أمامه لتعديلٍ ما في الخطة أو الأسلوب، وهو عكس الانسحاب المُخزي، والفرار المعيب.

في الحقيقة إن حياتنا بها الكثير من لحظات يبدو فيها الانسحاب هو الخيار الأمثل، والعودة خطوات إلى الوراء هو الشيء الذي يجب فعله وتنفيذه بلا إبطاء، حينها نهتز فعليًّا، يملؤنا الارتباك، وتتملَّكنا رجفة شديدة.

الانسحاب والتراجع والعودة إلى الوراء مؤلم وقاس ومُخزٍ في كثير من الأحيان.

هنا أريد التأكيد على قاعدة مهمة من قواعد الحياة، والتي في الغالب لا نلقي لها بالًا، وهي أن التقدم ليس دائمًا نصرًا، والتراجُع ليس بالضرورة علامة ضعف، إن التقهقر في وجه ظروف قاسية، أو أزمات مفاجئة عنيفة أو

عند مواجهة خصم قوي ليس هوانًا وضعفًا، إننا نعود لنقتنص الوقت الذي نحتاجه كي نتعافى ونعيد حساباتنا ونرتب من جديد أوراقنا، ولو كنا تمادينا في التقدم فلربما تقدمنا نحو كارثة وسقطة تأخذ منا الشيء الكثير.

لقد أخبرتك سابقًا أن الحياة ميدان حرب حسنًا آن الأوان لأخبرك أن الحرب خدعة والحذر والذكاء يجب أن يكونا في طليعة أدواتك التي تستخدمها في خوض مضمارها ذلك أن الانغماس الفعلي في الحاضر بتفاصيله الكثيرة يمنعنا من رؤية الطريق بوضوح، يمنعنا من استخدام عقولنا بشكل مبدع خلَّاق، ويُلجئنا إلى أنماط تقليدية في التعامل مع الأحداث، من هذه الأنماط الظن بأن التقدم دائمًا خير بينما التراجُع دائمًا خيبة وخسارة.

إن الفرق بين **الشخص المراهق والشخص الناضج** أن:

الأول يرى في القوة والاندفاع وسيلةً حاسمةً في إنهاء الأمور، يؤمن بأن التقدم هو الصواب، لا يضع في ذهنه أي حسابات عن المستقبل الذي قد يفاجئه بما ليس متوقَّعًا.

بينما الناضج يرى عكس ذلك، يؤمن أنه في بعض الأوقات يحتاج إلى التراجُع خطوة كي يتقدم خطوتين، ويؤمن أن خسائر كثيرة يمكن تعويضها شريطة أن نقرأ الواقع بشكل جيد.

في عملك قد تصطدم مع مدير ولا تتفقا ويصبح هناك قلق وعبء نفسي دائمًا.

في تجارتك يمكن أن تواجه أزمة تكاد تذهب بها تملك.

في طموحك الشخصي قد تواجه أناسًا يقفون بقوة أمام أحلامك.



حينها قد يرتفع الصوت الهادر بداخلك أن تقدَّم، خُض التحدي وقاتل من أجل ما تريد، هنا أنت بحاجة إلى أن تتوقف وتفكر.

تذكَّر حينها أن موسى عليه السلام قد ترك مصر هو وأتباعه وهربوا عبر البحر ولولا هذا الانسحاب من وجه فرعون لكانت الرسالة نسيًا منسيًّا.

وأن محمدًا ﷺ انسحب من مكة التي يحمل لها كل الود إلى يثرب تاركًا وراءَه ذكرياته وما يحب، ولولا هذا الخروج لاصطدم بقريش وهو لا يملك ما يُعينه على النصر.

إنك حين تحارب خصمًا يفوقك بكثير، أو في ظروف قاسية وخطرة فإنك تخسر شيئًا كبيرًا ألا وهو قدرتك على التفكير السليم تقصر زاوية الرؤية الصحيحة للأمور، تصبح أكثر توترًا وانفعالًا، وأخطاءً.

ونصيحتي أن تتراجع، أن تخسر بعض ما يحزنك خسارته، أن تخفض رأسك قليلًا في وجه العاصفة العاتية، لكنك حينها يجب أن تؤمن في داخلك



بأن عودتك لا ريب آتية، عودة قد تكون حاسمة وخاطفة ومدهشة، تمامًا كعودة محمد ﷺ فاتحًا مكة ومنتصرًا في عزة وإباء.

> **يا صاحبي،** لا بأس أن يظن عدوك أنك ضعيف، غذِّ لديه هذا الإحساس لتفاجئه في الوقت المناسب بما لم يحسب له حسابًا، أو يضعه في الحسبان.

شيء آخر لا يقل أهمية أحب أن أضيفه ها هنا وهو أن ترفض من فورك الدخول في أي حروب مجانية، أو عداوات ليس لها داع.

ستقذف الحياة في وجهك كثيرًا من المواقف والأحداث والأشخاص الذين يحاولون استفزازك، تجنبهم ما استطعت لذلك سبيلًا، لا تضيع وقتك في الدخول في معارك يمكنك تجاهلها، آمُل أن تدرك أنني أفرق جيدًا بين أن تكون سلبيًّا وأن تكون فطنًا، ليس معنى تجنب المعارك أن تنسحب من مواجهات لا يصح الانسحاب منها، أنا هنا أراهن على قدرتك وفطنتك في وضع الأمور في نصابها الصحيح.

الحقيقة أنه ليست كل المعارك التي نخوضها تستحق ما ندفعه فيها من ثمن.

معظمنا للأسف لديه ميل لرد العدوان بالاشتراك فيه بطريقة ما، نفشل في كبت أنفسنا وتقييدها، ولا ننتبه إلا بعدما نجد أننا نزلنا في وحل المعركة حتى غاصت ركبتنا تمامًا.

إن الوقت هو أثمن ما تملكه في الحياة، إنه المادة الخام لحياتك، قد يسلبك



الآخر بعض ما تملك، لكنهم ومهما بلغت قوتهم لا يستطيعون سلب وقتك أو سرقة حياتك، مالم تسمح لهم أنت بذلك.

فلا تشارك أبدًا في معارك ليست من صميم معاركك الحقيقية في الحياة وذلك لأن الزمن الذي يمضي في المهاترات لا يمكن استرجاعه.

أُعيد التأكيد على أن الحياة يجب أن تُخاض وأن من يفوز فيها هو الشجاع المقدام، لكن الذكاء يُخبرنا أنه في أوقات ما - وهي قليلة - أنه يجب علينا أن ننسحب لفترة كي نعود لأرض المعركة مجددًا بقوة أكبر، وبأس أشد.





12. لا تحتفل قبل الفوز

الهدف من اللعبة أن تُحاصر ملك خصمك، أن تعزله عن تلقِّي المساعدة، وتشل حركته تمامًا، لكنك يجب أن تحترس طالما ملك خصمك يمتلك ثغرةً ما، طالما الملك يستطيع التحرُّك، ولو بصعوبة، فاللعبة لا زالت مستمرة، وهناك نسب متقاربة لأن يقتنص أيٌّ منكما الفوز، حاصر عدوك بحزم، ولا تترك له ثغرة، وحينها فقط يمكنك أن تحتفل.



الذين يحتفلون قبل الأوان، لا تكفيهم دموع الدنيا إذا ما انقلبت الموازين أو تغير الحال.

وأسوأ مصيبة قد تقابلك في طريق نجاحك، أن تسقط فجأةً بعدما خيَّل لك وهمُك أنك واقف فعلًا على منصة التتويج، لتكتشف أن سرحان الذهن قد أفقدك توازنك، وأن المنصة التي صعدت عليها في خيالك كانت «صرحًا مِن خيالٍ... فهوى!».

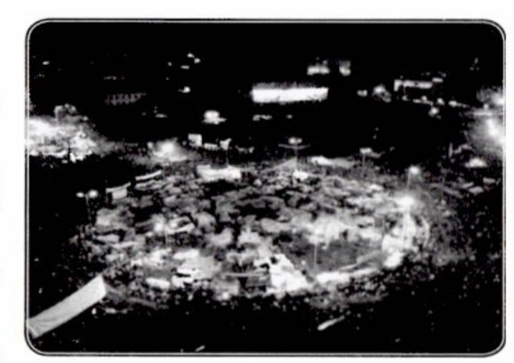
والمشكلة التي تواجهنا فعلًا في كثير من الأحيان ذلك الخمول الذي يأتينا حينما تمضي الأمور وفق ما نشتهي لفترة طويلة، وتتبقى من تحديات الطريق أشياء بسيطة، فيتسلل الخدر والانتشاء إلى وعينا، وترتخي حبال تركيزنا، ونبدأ في تجهيز خطبة النصر، وقد نتمايل فعلًا على أنغام تصفيق الجمهور الذي يُخيَّل لنا أنه يُحيينا على فوزنا المُستحَق!.

في لعبة الشطرنج لا ينبغي للاعب المحترف أن يحتفل قبل خروج خصمه من على الرقعة مهزومًا، وأي مظاهر احتفال تسبق تلك اللحظة قد تكون سببًا مباشرًا في تسرُّعه أو عدم انضباطه، والتي قد تؤثر بشكل كبير على سير المباراة.

وفي لعبة الحياة لا يختلف الأمر كثيرًا، هدفك الذي وضعته نُصب عينيك لا يقبل منك أن ترشف رشفة من كأس النصر قبل أن تحققه بنسبة 100٪، وإلا أدار لك ظهره.



كما نعلم جميعًا إن السبب الأول لهزيمة المسلمين في معركة أُحُد كان عدم احترام الرُّماة لأمر القائد الذي نبهَّهم ألا يحتفلوا بالنصر قبل أوانه، وألا يتركوا أماكنهم ليحصدوا الغنائم إلا حينما يأمرهم.



الثورة المصرية المعروفة بثورة 25 يناير كادت أن تفشل لأن الشباب الطاهر استجاب لرغبات القائلين بأنهم يجب أن يخلوا الميدان فورًا بعد تنحِّي الرئيس المخلوع، وقد كانت مفاصل الدولة كلها تابعة له، ولولا فضل من الله ووعي كثير من مثقفي ونخبة مصر لخسرنا مباراة الثورة بعدما احتفلنا بها، وهو ما حدث قبلًا في الثورة الرومانية التي قامت عام 1989 وسُرقت من أصحابها وهم يحتفلون!.

وفي حياتنا الشخصية تبدو هذه القاعدة جلية وواضحة جدًّا، عندما ننتشي ونطمئن إلى أننا قد ذاكرنا بالشكل المناسب ونرتاح قبل أداء الامتحان، **في الغالب نفاجأ بما لم نتوقعه، فترة الخمول السابقة لم تكن شيئًا جيدًا ما دمت لم تخض الامتحان بالفعل.**

عندما تطمئن إلى أن الصفقة قد أُنجزت قبل أن تقوم بعملية التوقيع على العقد، أو عندما تتلقَّى التهاني على الوظيفة الجديدة قبل أن تجلس على كرسيك وتمارس عملك، كل هذه الأشياء في الحقيقة ليست في صالحك.

لستُ متشائمًا يا صاحبي، أريد فقط أن أضعك أمام مجموعة حقائق مهمة:

أولها:

أن المجهود الذي نبذله في الحياة من أجل تحقيق شيء ما يحتاج انتباهًا وتركيزًا دائمين، وطوال الوقت، ونشوة السعادة يمكنها أن تُقلل من تركيزنا وانتباهنا.

ثانيًا:

إننا يجب أن نتعلم من الخيول ذكاءَها العبقري في تقسيم جهدها أثناء السباق فلا هي تُفرغ كل طاقتها في الأميال الأولى وتتخاذل في أخريات الطريق، ولا هي تنتشي وتسعد قبل أن تتخطى خط النهاية.

ثالثًا:

إن عثرات الطريق أنواع، وكما أن التشاؤم خطر، فإن التفاؤل المفرط خطر كذلك، ورغم أن التسلُّح بالأمل مطلوب إلا أن درعك الواقي يجب أن يكون من مادة الحذر والحرص والانتباه.

إن فلول عدو ما تصبح فعَّالة كبقايا وباءٍ أو حريق، ومن هنا ينبغي إبادة تلك الفلول تمامًا، وعلى المرء ألا يتجاهل عدوًّا حتى لو كان يعرف أن ذلك العدو ضعيف، إذ إنه قد يصبح بمرور الزمن كالشرارة في كوم من الهشيم.

كوتيليا.. فيلسوف هندي من القرن الثالث قبل الميلاد

إن سقوط الإنسان قبل إتمام النصر لا يكون فقط بالأساليب التقليدية المباشرة، لكنه قد يؤتى بأساليب أكثر دهاءً ومكرًا، كاستراتيجية العنكبوت مثلًا!



ففي الوقت الذي تهاجم فيه معظم الحيوانات والحشرات ضحيتها مباشرةً يلجأ العنكبوت إلى طريقة نسج الشباك لفريسته ثم ينتظر دون القيام بأي جهد حتى تأتي تلك الفريسة التي يغيب تركيزها، أو تطير بلا مبالاة وهي تظن أنها قد امتلكت العالم بأسره، فتسقط المسكينة في الشَّرَك دون أن يدفعها أحد إليه وحينها يبدأ العنكبوت في إعداد مأدبة الطعام!.

لا تسلم نفسك إلى خصومك، كن منتبهًا يقظًا على الدوام، ولتكن فرحتك الحقيقية يوم أن تتسلم ميدالية النصر، حينها فقط يمكنك أن تسعد وتفرح وأنت مطمئن، فسهام أعدائك آنذاك تكون قد طاشت كلها ولم يعُد في جعبتهم أي سهام إضافية يرمونك بها.



13. الهدف... النصر

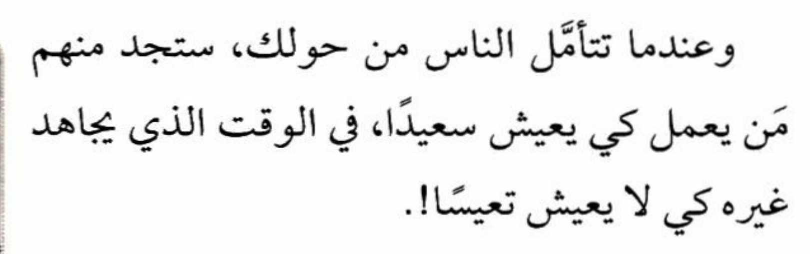
عندما تلعب وكل همك تجنُّب الخسارة والفشل، أو لتبقى على رقعة الشطرنج لمدة أطول فإنك تِصبح عُرضةً للتلاعُب الذي يقوم به خصمك تجاهك، بل وتصبح جميع خطواتك هي ترجمة لما يريدك أن تفعله وتقوم به، إن الفرق كبير جدًّا بين من يلعب لتجنُّب الخسارة، ومن يلعب لتحقيق النصر.



دعني أبدأ معك حديثي في هذه النقطة بتلك المفارقة التي لَحِظَها رجال الإسعاف في إحدى دول الخليج العربي حيث وجدوا أنه في الطرق الصحراوية وعند اختلال عجلة القيادة في يد السائق فإنه في كثير جدًّا من الحالات يصطدم بأحد أعمدة الإنارة الموجودة على جانب الطريق، بالرغم من اتساع المسافة بين الأعمدة بعضها البعض، وبالدراسة وُجِدَ أن السائق وبمجرد اختلال عجلة القيادة وانحرافها عن الطريق يبدأ في التركيز على الأعمدة التي على الطريق كي لا يصطدم بها، يصبح هذا التخوُّف اللحظي هاجسًا يملأ ذهنه، وفي الغالب يرى وكأن الطريق ليس به سوى أعمدة الإنارة المتراصَّة بجوار بعضها، ورغم دهشتك من هذا التفسير إلا أنه واقعي إلى حدٍّ بعيد، وفي شعبيات المصريين يقولون **أن من يخشى العفريت يظهر له!.**

إن في العقل بوصلة، حيثما يتم توجيهها، فإنها تسير بصاحبها نحو الهدف المحدد.

نرى ذلك جليًّا في حياتنا الدراسية، حيث الطالب المتميز دائمًا في ذهنه المراكز الأولى، والراسب يكدح من أجل النجاح، كما نراه في التجارة، حيث رجال الأعمال الكبار يميلون للمخاطرة والإقدام بينما غيرهم يميلون إلى العمل في المساحة التي توفر لهم مطالب العيش، بل حتى في مباريات كرة القدم نجد الفرق التي تنافس على البطولة تختلف تمامًا عمَّن تُصارع على البقاء في المنطقة الآمنة!.



وعندما تتأمَّل الناس من حولك، ستجد منهم مَن يعمل كي يعيش سعيدًا، في الوقت الذي يجاهد غيره كي لا يعيش تعيسًا!.

ستجد مَن يكدّ كي يصير غنيًّا، ومَن يبذل جهده كي لا يكون مفلسًا.

مَن يستمتع بالحياة صادقًا، ومَن يعمل على انقضاء أيامه بأقل قدر من الاضطراب والتوتر.

والحياة تُعلمنا أن من يحوم حول شيء ما في الغالب يقع فيه، فالحياة يا صاحبي هي أمانيك، أو مخاوفك.

كان النبي محمد ﷺ يُعلِّم أصحابه - ونحن من بعدهم - أمرًا في غاية الأهمية وهو **تركيز الذهن دائمًا نحو الرؤى السامية، والأهداف البعيدة، فنراه ينصح أكثر من مرة:**

(إنَّ الله يُحبُّ معاليَ الأمورِ ويكرهُ سفاسِفَها)، (إذا سألتُمُ الله فاسألوهُ الفِردوسَ الأعلى مِن الجنَّةِ)، (اليدُ العُليا خيرٌ وأحبُّ إلى اللهِ من اليدِ السُّفلى).

هذا التوجُّه النبويُّ في أن نكون دائمًا في رقيٍّ دائم وفي شتى مناحي الحياة، هو الذي تتوقَّف عليه معالم شخصياتنا، وترسم الملامحَ الأولية لعظمتها ورقيِّها.

عندما أتدبَّر سيرة النبي ﷺ أجزم أنه كان يحيا بعقلية الرابح، يفكر، ويخطط

ويتفاعل مع الأحداث، ويوجِّه أتباعه، وفي ذهنه دائمًا سيناريو النصر، يبث في مُريديه وأتباع دعوته رُوح الإصرار والعزيمة، ويؤكد لهم في كل لحظة أنهم أكفاء لتحقيق المطلوب منهم، وتمكين هذا الدين الوليد.

ظهر هذا كثيرًا وفي لحظات فارقة، حيث كان يبشرهم في لحظات الخوف - كما في غزوة الخندق - بفتوحات بلاد الفرس والروم وهزيمة أعتى وأكبر قوتين عالميتين، كما نراها وهو يهاجر وفي إثره قريش بأكملها ومع ذلك يُبشر متعقبه - سراقة بن مالك - بسواري كسرى ملك الفرس.

نراها في تعامله مع كبراء قريش وقادتها وهو يؤلف قلوبهم بثقة من سينتصر حتمًا، حيث يرسل لخالد بن الوليد يخاطب عقله بقوله «**عجبت لك يا خالد أرى لك فكرًا**»، ثم وهو يحفظ له مكانته بقوله «**لو جئتنا لحفظنا لك قدرك**» ليصبح بعدها خالد - الفارس مرهوب الجانب - سيفًا في يد النبي ﷺ يضرب به أعداءه أينما كانوا.

وعلى أثر النبي ﷺ مشى أصحابه وخلفاؤه، تحكمهم قاعدة مهمة وهي أن النظر للقِمَّة هو ما يجب أن نفعله والرضى بالنصر البسيط لا مكان له في أذهان العظماء.

حتى وإن خسرت بعض القطع الثمينة على رقعة الشطرنج، وباغتك خصمك فخطف منك وزيرك فأربك خططك، ذهنيتك كشخص يبحث عن النصر سيدفعك يقينًا إلى التعامل بهدوء وروِيَّة وضبط للأمور لتصبح أفضل مرة ثانية.



لدينا أزمة في الوعي تتلخص في ظننا بأن الشخص السعيد لا يحزن أبدًا والمتفائل لا يضطرب لبعض الوقت، والشجاع لا يزور الخوف قلبه قط وهذا ليس بالشيء الصحيح، **كلنا مُعرَّضون للاضطراب والسقوط والخوف والخسارة.**

كلنا نخسر في الحياة يا صاحبي.

قد تركد تجارتنا، أو نتعثر في تعليمنا، وقد لا نوفَّق في زواجنا، وربما مررنا بما هو أشد وأقسى.

الذي يتعامل مع الحياة بذهنية المنتصر، يكون وضعه في التصدي للخسارة والأزمات أكبر بكثير من غيره، وذلك لأن مساحة الإصرار والمُغالبة لديه تكون كبيرة، ولا تقبل ذرات جسده، ولا خلايا عقله أن ينكسر ما دام فيهما حياة.

خُلاصة القول

أن النصر يسكن في الذهن، قبل أن يُصنع على أرض الواقع، والذي ينطلق وهو حريص على إحراز الأهداف سيحرزها يقينًا، حتى وإن أخطأ في بعض التصويبات، بينما من يهبط إلى ميدان الحياة محاولًا تقليل حجم معاناته فيها، ففي الغالب سيناله الكثير أو القليل من هذه المعاناة، لأننا وكما قلنا نحقق في الحياة إما أمانينا أو مخاوفنا.



14. لا تلعبها على أعصابك

الانتصار في لعبة الشطرنج يحتاج منك أن تتعلم كيف تضع أعصابك في ثلاجة، أن تسكب ماءً مثلَّجًا على رُوحك أمام الحرب النفسية التي سيحاول منافسك أن يجابهك بها أن تعي جيدًا أن الإشاعات، والنظرات الحادَّة التي تشعر وكأنها تخترق رُوحك هي من صميم اللعبة، وعليك أنت أيضًا أن تُتقنها من جهة، وتُتقن تمريرها دون أن تؤثر عليك أو على نفسيتك أو على قراراتك من جهة أخرى.



في كل مجالات التنافس تُعد الحرب النفسية سلاح مهمًّا، يلجأ لاستخدامه كل من يبتغي اقتناص نصر أو تحقيق فوز، في السياسة وإدارة الدول والحروب «**العسكرية منها أو السياسية والفكرية حتى**» تجد أن الداهية هو من يُجيد هذه الاستراتيجيات ويُتقنها، في الرياضة يلجأ المدربون واللاعبون للتأثير في الخصوم وفي الجماهير بالتصريحات والحروب النفسية، حيث تُعد هذه الحروب لونًا من ألوان تشتيت ذهن الخصم، وإخراجه عن التركيز الذي تحدثنا عن أهميته في معركة الحياة.

ولأن الحياة كما اتفقنا مضمار تنافُس محموم، لذا صار طبيعيًّا أن نواجه بين ساعة وأخرى حربًا نفسيةً تحاول النَّيل منَّا وتحطيمنا.

الواقع يقول أن هذه المعارك لا تكون فقط مع أنداد وخصوم، إنها - للأسف - تكون في كثير من الأحيان مع أقرب الناس لنا، وأكثرهم قربًا والتصاقًا، إنني أتحدث عن **آبائنا وأمهاتنا تحديدًا**.

إنهما يتسلَّحان بحبٍّ صادق لنا، بأمنية أن يرونا أفضل البشر وأنجحهم، لكن في كثير من الأحيان يكون الأب والأم غير مدركين أننا نحيا في زمن مختلف عن زمنهما، وأن نصائحهما مع تقديرنا لهما ليست طوق النجاة في هذا الموقف أو ذاك.

فالزمن الذي تغير والأبجديات التي تبدلت، والتحديات التي نمر بها ولم يمر



بها آباؤنا جعلت في كثير من الأحيان لا قيمة حقيقية لنصائح الآباء والأجداد لقد كتبت هذا من قبل وأزعج البعض لكني أؤمن أن الشَّعر الأبيض مع تقديرنا لوقاره وحكمته لا يمكن أن ينجدنا في كثير من أزمات الحياة المُستجدة، وأن آباءنا وأمهاتنا هم **الخير والحكمة والوعي** الذي نلجأ إليه حينما نضطرب ونحتاج لمن يطمئننا ويُعيدنا إلى أرواحنا مرة ثانية.

لقد قالها الحكيم العظيم علي بن أبي طالب رضي الله عنه: **«ربوا أبناءَكم لزمان غير زمانكم»**.

وهي التربية القائمة على زيادة وعي الأبناء، وتفتيح مداركهم، وتجهيزهم لتحمُّل ضربات الحياة المفاجئة والمستجدة، والتي ستمنعهم الفجوة العمرية من فهمها واستيعابها ومن ثَم مساعدتهم في تخطِّيها.

ذكرت هذا لأؤكد أن كثيرًا من الحروب النفسية التي نمر بها في معترك الحياة قد تأتينا من أب وأم للأسف فشلوا في تفهُّم أبنائهم وصنع جسور من التواصل معهم.

لقد كانت تزعجني جدًّا حالات الانتحار أو حتى المحاولات التي يقوم بها شباب وفتيات في مقتبل العمر لمجرد تعثرهم في الإجابة عن سؤال أو أكثر في امتحانات الثانوية العامة تحديدًا، إن كنت مصريًّا فأغلب الظن أنك تدرك حجم هذه المأساة أكثر من غيرك!

وكنت أسأل نفسي مندهشًا عن السبب..



في البداية كنت أفسر عدم فهم هذا بكوني لم أكن يومًا متميزًا، وبالتالي فشعور المتميزين الذين تعثروا في إجابة سؤال أو أكثر ستكون بعيدة عن فهمي لكن الحقيقة بلا شك غير ذلك.

إن الدافع الأول لهذا الانتحار بكل أسف هو مُربٍّ أوصل لهذا المسكين - أو المسكينة - أن فشله في هذا السؤال أو تلك المادة هو فشل في الحياة كلها، وأن عدم التوفيق لا يعني أنه وحده الفاشل، بل نحن أيضًا فشلة، ولم نحسن تربيته وتعليمه!.

إنها حرب نفسية يتم تصديرها بحُسن نية إلينا في مُقتبل العمر، دعك من الحروب النفسية الأخرى التي تفتقد إلى المسئولية كالتوبيخ الدائم والتذكير المستمر بأننا «**فشلة، لا نصلح لشيء، نريد كل شيء بسهولة**»، غير الأم التي تتوعَّد ابنها دائمًا بأن «**يقابلها لو نجح**»، وفي الغالب لا تحدث هذه المقابلة أبدًا إما لأن الابن قرر أن يكون بارًّا بأمه ويحقق لها نبوءتها ويفشل، وإما لأن انفعالها غلبها فنسيت أن تخبره عن المكان الذي ستلقاه فيه!.

> من بين كل أسلحة الدمار الشامل التي اخترعها الإنسان، تعتبر الكلمة الأكثر فظاعةً وخِسَّةً.
> تُخلف أسلحة الدمار آثار دماء، بينما الكلمة تُدمر دون أن تُخلف أثرًا ظاهرًا.. وهنا يكمُن خطرها!
> باولو كويليو

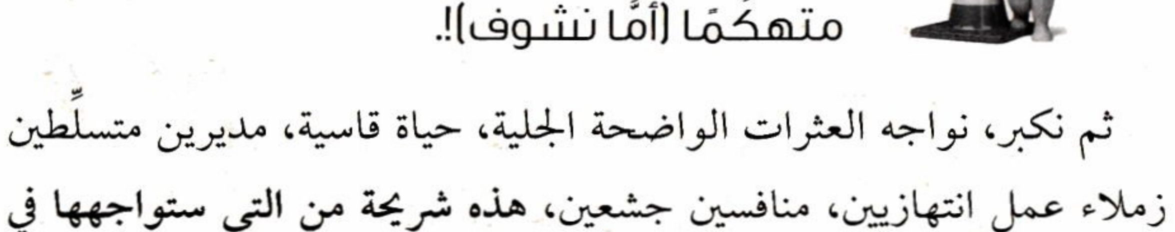
يا صاحبي أنا لا أخلط الجد بالهزل، أنا أعبر عن أزمة جيل تربى على زعزعة ثقته بنفسه، وعلى أنه يستحق «الحرق»، وأن عليه أن يقابل أمه أو أباه لو حالفه الحظ ونجح!.

هذه هي حروبنا النفسية الأولى التي نواجهها في حياتنا، والتي يمكن أن تقضي علينا مبكرًا.

فوفقًا لما أكده الكاتب التحفيزي الشهير زيج زيجلر في كتابه «**خُطوات نحو القِمَّة**»...

أن أحد الوعاظ في السجون الأمريكية أكد بعدما قضى من عمره سنوات متنقلًا بين سجون مختلفة أن حوالي ٩٠٪ من السجناء كان آباؤهم يخبرونهم بصفة متكررة أن السجن سيكون هو نهايتهم!.

يحضُرني هنا توجيه نبوي لطيف جدًّا، حيث إن النبي ﷺ كان عندما يوجِّه أو يعلِّم أو يربِّي أحد أصحابه، وبعدما يعده الصحابي أن يفعل كذا أو كذا من الأشياء الجيدة الحسنة كان نبينا ﷺ يقول **«أفلح إن صدق»**، وفرق كبير بين **«أفلح إن صدق»** التي يقولها النبي ﷺ، و**«ابقى قابلني»** التي تقولها الأم أو الأب لأبنائهم.



ثم نكبر، نواجه العثرات الواضحة الجلية، حياة قاسية، مديرين متسلِّطين زملاء عمل انتهازيين، منافسين جشعين، **هذه شريحة من التي ستواجهها في حياتك لا شك في ذلك**، وكلٌّ منهم سيحاول يقينًا عرقلتك وسيستخدم حروبًا

نفسية قد تكون شريفة وربما غير ذلك، دعك من أن الحياة ذاتها تتسم بالقسوة مما يجبر بعض ممن لا يعون فلسفة الرزق أو القضاء والقدر من انتهاج أساليب تنافسية تتسم بالقسوة والشدة، وأمام كل هذا أنت مُطالب بتجهيز نفسك للحرب بوجهيها: **الحسن، والقبيح**.

عندما أود البحث عن معين لي في الحياة وضرباتها لا أجد كسِيَر الأنبياء والرسل من معين لا ينضب، فهم قد تعرضوا إلى كل ما يمكن أن نتصوره من حروب واضطهادات وحملات تشويه، كانت تنهال عليهم بقسوة محاولةً النَّيل من أفكارهم ومعتقداتهم، بل وأهلهم وسُمعتهم.

كنت ألحَظ دائمًا أن الهدوء والتروِّي سمة غالبة عليهم رغم ما يوجَّه لهم من سِهام النقد والتجريح والإيذاء الخفي منه والصريح، فأقول لنفسي:



لعلّهم أنبياء وهبهم الله قدرةً تفوق طاقة البشر على التحمُّل!.

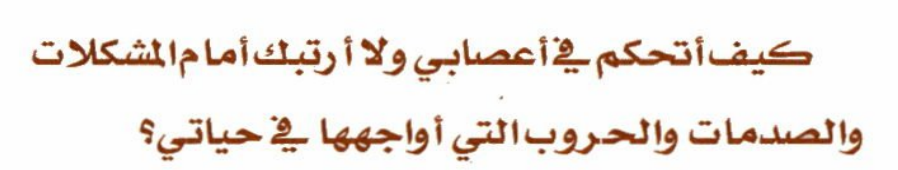
فأيمِّم وجهي شطر أصحاب الدعوات النبيلة المسلمين منهم وغير ذلك أمثال **عُمر المختار وحسن البنَّا وعز الدين القسَّام**، وكذلك **مارتن لوثر كنج وغاندي وманديلا**، فأجدهم جميعًا ثابتي الجنان، لديهم سيطرة مذهلة على أعصابهم، وقدرة كبيرة على التحكم في اللعبة ورفض كبير للاستسلام لضربات الخصم وطعناته.

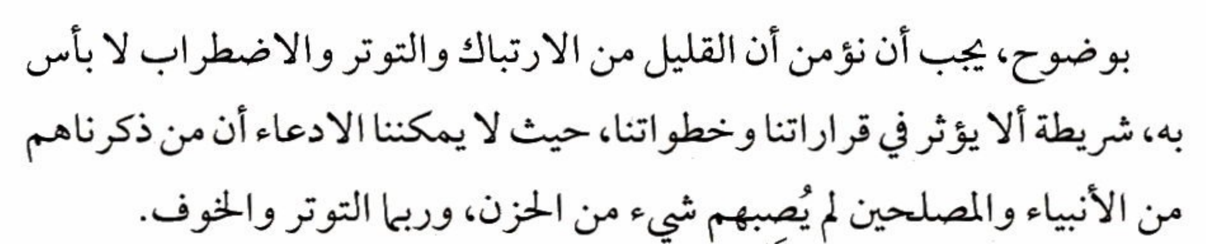


والحقيقة المؤلمة أنه ليس فقط العظماء من الشرفاء هم من يملكون هذا العناد والتحدي، بل عتيدي الإجرام والأشرار أيضًا، للأسف.

المجرمون أيضًا لديهم عزم وإصرار وحيل للانتصار، لديهم من الخطط ما من شأنه أن يُنهي اللعبة، ويحفظ لهم النصر، هذا يجعل التصادم بيننا قويًّا، ويجعلنا بحاجة إلى أن نفوقهم ثباتًا وتركيزًا.

والسؤال المنطقي هنا هو:





بوضوح، يجب أن نؤمن أن القليل من الارتباك والتوتر والاضطراب لا بأس به، شريطة ألا يؤثر في قراراتنا وخطواتنا، حيث لا يمكننا الادعاء أن من ذكرناهم من الأنبياء والمصلحين لم يُصِبهم شيء من الحزن، وربما التوتر والخوف.

فلقد ثبت أن نبينا محمد ﷺ كان يحزن ويألم من الحروب التي يواجهها هو وأصحابه، وكذلك سيدنا موسى عليه السلام أصابه الخوف والاضطراب، وأيضًا سيدنا نوح عليه السلام أصابه الغضب والألم، مما دعاه للدعاء على قومه وشكوتهم إلى الله.

لكن أيًّا منهم لم يدفعه ذلك إلى إساءة التخطيط، أو الاضطراب المفضي إلى انتهاج سلوك مدمر له أو لدعوته، وهذه هي **النقطة الأولى** التي آمُل أن تعيها يا صديقي، أنك يجب أن تجعل غضبك وحنقك وتذمرك لا يخرج عن كونه

شعورًا، سيكون مؤلِمًا وصعبًا وفوق قدرة بعضنا على التحمُّل، لكنك يجب أن تكبح جماحه من أن يندفع كالبركان فيحرق ويؤلم، لأنه بلا شك سيعود عليك بالسوء والويلات.

أعلم أنه صعب للغاية أن تتلقَّى ضربة خصمك بهدوء، أو تتقبَّل الهزيمة بثغر مبتسم، لكن لا سبيل سوى ذلك كي نسيطر على حياتنا ونكون في معظم أزماتنا في **موقف الفعل لا رد الفعل**.

لقد تحدثنا من قبل أن الحياة ليست ما يقع لنا فيها من أحداث، لكنها تتعلق بطريقتنا في التعامل مع هذه الأحداث.

الذين يفقدون اتزانهم أمام لكمات الحياة في الغالب يُلقى بهم خارج حلبة اللعب، غير مأسوف عليهم، لكن الذين يمتصون اللكمات، ثم يجتهدون في حفظ توازنهم مرةً أخرى، هم من يعودون بسرعة إلى الحلبة لمواصلة المعركة.

بعد معركة أُحُد التي انهزم فيها المسلمون كان أمر النبي ﷺ واضحًا وسريعًا بأهمية التجهُّز واللحاق بجيش قريش المنتصر، كانت هذه رسالة بأن الضربة المؤلمة التي تعرَّض لها النبي ﷺ وأصحابه قد تم امتصاصها سريعًا - مع ما بها من ألم وحسرة ولوعة - وهو ما كان له كبير الأثر على الحالة المعنوية للبنيان الإسلامي الوليد، كذلك حِرصُ أبي بكر الصديق رضي الله عنه، على مقاتلة مانعي الزكاة والمرتدين، وإنفاذ جيش أسامة بن زيد رضي الله عنه، وذلك بعد وفاة النبي ﷺ



ومحاولة البعض توجيه ضربات للمسلمين المفجوعين بموت رسولهم، فكانت هذه الخطوة فاعلة في إرباك خطط الأعداء، وتم توطيد أركان الدولة، مما دعا المؤرخين بعد ذلك إلى التأكيد أن هذه الخطوة من أبي بكر هي التي حفظت الدين الإسلامي وأثرت على تماسُكه واشتداد عوده.

أنا أؤمن أن لا شيء يحدث لي في الحياة يفوق قدرتي على التحمُّل، وليس هذا ادعاءات مغرورٍ، وإنما هو إيمان بقوله تعالى: «**لا يُكَلِّفُ الله نَفسًا إلا وُسْعَهَا**».

الله سبحانه وتعالى يُعطيك على قدر تحمُّلك حتى وإن ظننتَ عكس ذلك أنت بحاجة فقط أن تُري الله من نفسك بأسًا شديدًا، وتُظهر ما لديك من قدرات وإمكانات، بأن تتماسك أمام الضربات التي توجَّه لك، وتدعو الله أن يسدد خطوك، ويلهمك التوفيق كي تتخذ الجيد من المواقف والقرارات.

إن كلمة السر في التغلُّب على الحروب النفسية التي تواجهها هي في حُسن **ثقتك وظنِّك بالله أولا**، ثم بحُسن تدبيرك وتخطيطك ثانيًا.

يقول نبينا ﷺ:

«إنَّ اللَّهَ يَلُومُ عَلَى العَجْزِ، وَلَكِنْ عَلَيكَ بِالْكَيْسِ - الذكاء والتدبير - فَإذَا غَلَبَكَ أَمرٌ فَقُل: حَسبِيَ اللَّهُ وَنِعمَ الوَكِيل».

وهذا تأكيد على أنك يجب أن تُفرغ كل ما في جعبتك من مواهب وحيل في مواجهة أزماتك ومشكلاتك، وألا تشكو أبدًا شكوى العاجز.

إنني أهيب بك يا صاحبي ألا تلعب مباراة حياتك على أعصابك.



أعلم أن التحديات التي تواجهها كبيرة وكثيرة، وأدرك أيضًا أن الحيل التي تقابلك مؤلمة مُوجِعة، أتفهم ضيقك وحزنك الذي يغلب على طباعك في بعض الأوقات...

لكن الحياة لم تكن قطُّ دار راحة واستقرار، وإنما دار إنجاز وعمل وتفوُّق نبذل الجهد هنا كي نرتاح هناك، وما عند الله هو خير وأبقى، شريطة ألا نرتبك ونضطرب ونخطئ، لأن هذا من شأنه أن يؤخرنا كثيرًا عن بلوغ غايتنا، ولا أجد شيئًا أقوِّي به عزيمتك خيرًا مما قوَّى به ربنا جلَّ اسمه عزيمة نبيه به، إذ يقول:

﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡ﴾ (الأحقاف : 35)

خُض التحدي يا صاحبي، ولكن... بهدوء.





15. جرِّب أن تلعب بالأبيض!

الماضي له سطوة، له قدرة مؤثرة في ركوننا إلى ما تعودنا عليه والعادات الماضية لها وزن مؤثر في قرارات الإنسان والتاريخ - مهما كان - له قدسية ومهابة، لذلك أي تغيير نحاول أن نقوم به يُجابَه بجيوش من المقاومة والتثبيط سواء كان هذا التغيير جوهريًّا ومؤثرًا، أو حتى بسيطًا كأن تلعب باللون الذي لم تتعود اللعب به سابقًا.



أفضِّل دائمًا أن ألعب بالقطع السوداء، لا أتذكر يومًا أنني لعبت بالقطع البيضاء، وليس في الأمر ثمة سر يُحكَى، كل ما هنالك أنني تعودت على ذلك مذ تعلمت لعبة الشطرنج، كنت حينما أجد خصمي قد بدأ في ترتيب القطع السوداء في ملعبه أقول له مازحًا: «**ليلعب كلٌّ منَّا باللون الذي يتطابق مع لون قلبه**».

ثم أعكس الرُّقعة لتكون القطع السوداء هي قطعي وفي أرضي.

نحن نحترم الماضي، نتمسك به، يؤلمنا أن يُمحَى أو يثبُت خطؤه يومًا ما وفوق هذا نرفض أن ننتهج سلوكًا جديدًا، أو نتبنَّى مبادئ وأفكارًا وأطرًا غير التي تربَّينا عليها وألِفناها.

ولعلَّ هذا ما يُفسر لنا:

لماذا يفشل معظمنا في صنع تغيير في حياته، لماذا نتراجع بسرعة بعدما نخطو خطوات قليلة في درب لم نألفه أو نمضي فيه من قبل، حتى وإن تيقنَّا من أهميته ووجوبه!.

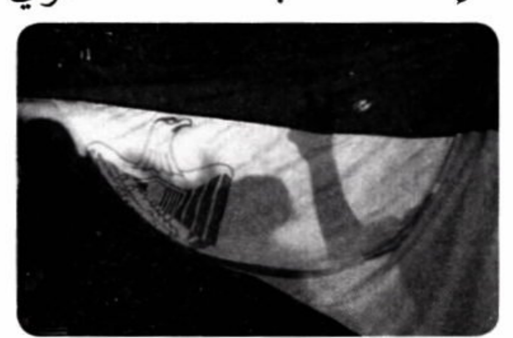
الإنسان يتضايق من التغيير ويضيق به، حتى إن كان إلى الأفضل، نود دائمًا أن نلتصق بشدة بالمألوف، المألوف من الناس بطقوسهم وتصرفاهم، المألوف من نمط حياتنا بعاداتنا وسلوكنا، حتى المألوف من الأرض والجو والمكان، **كل مألوف مرغوب، وكل جديد مرهوب**، وصدق العرب حينما قالوا قديمًا أن المرء عدو ما يجهل.



الأغرب أن تجد شخصًا غير راضٍ عن حاله، يشكو مُرَّ الشكوى، ويتمرد بصوتٍ عالٍ على الناس والحال والأوضاع القائمة، لكنه رغم ذلك لا يتحرك بجديَّة من أجل تغيير هو يعلم أنه لا بُد منه.

والسبب هو ذلك الخوف من التهديد، الرعب من أن يدع المألوف المرغوب للجديد الذي لا يطمئن له.

إذا كنت متابعًا للشأن المصري وتحديدًا الثورة المصرية التي قامت في 25 يناير 2011، فبلا شك أن قلبك رقص فرحًا لانتهاء عقود من الظلم الاجتماعي والاضطهاد السياسي، والذل المقيت الذي مارسه نظام مبارك وأعوانه.



وقد تتحول غبطتك هذه إلى دهشة عظيمة عندما ترى أن الانتخابات الرئاسية التي تمت بعد تلك الثورة العظيمة قد أفرزت عن تنافس شرس بين مرشح ينتمي إلى تيار معارض - حتى وإن اختلف معه البعض - مع قطب من أقطاب النظام السابق وأحد أعمدته وآخر رئيس وزراء في عهد النظام الذي قامت ضدَّه الثورة، لقد كاد الرجل أن ينجح ويصبح رئيسًا لمصر، وكادت الثورة أن تتلاشى كالدخان!.

حار المحللون في فهم هذا الأمر، ذهب بعضهم إلى أن الشعب المصري قد كفر بالثورة، بينما أقسم البعض الآخر أن الشعب لم يكن أصلًا مع الثورة في حين أرجع آخرون إلى أن التنافس السياسي له حساباته الخاصة.

والحقيقة أن الشعب المصري ليس بدعًا من أمره، إنه كغيره من الشعوب ينتهج السلوك الإنساني التليد نفسه، حيث يخاف من التغيير، من مواجهة المستقبل وحيدًا، بعدما تخلى عن الماضي بقسوة، وأصبح عليه صنع حاضره ومستقبله معتمدًا على إبداعه الخاص، ومجهوده الشخصي.

التاريخ يؤكد أنه لم تحدث ثورة دون حالة ارتباك قوية تعقبها، ذلك لأن الفراغ الذي تخلقه هذه الثورة بعد مدة من قيامها يُقلق ويؤلم، يرتبط في الذهن غالبًا بالغموض والفوضى والارتباك، مما يدفع الناس إلى اشتهاء العودة إلى الماضي والعمل على إضعاف الثورة التي قاموا بها!.



في البدء تكون الحماسة غامرة، والرغبة في التجديد غالبة، والتغيير بلا شك له رونق ساحر.

فإذا ما وضعت القدم على الطريق وبدأ المشوار زالت الحماسة، وهذا أمر لازم الحدوث، ووجد الناس أنهم في مواجهة الجديد، وجهًا لوجه أمام المستقبل بغموضه، الفراغ الجديد يزلزلهم وعندئذٍ يشتاقون للقديم، يحنون للماضي فيصنعون له ثغرة يتسلل منها إليهم، **وفي مصر كانت صناديق الاقتراع هي تلك الثغرة!.**



ضربت لك هذا المثال لأؤكد لك أن الأمر جماعي كما أنه شخصي، في الدول والمؤسسات الكبيرة كما في الأفراد، أي تغيير لا بُد من مقاومته.



كم مرة قررت أن أغير نمط حياتي وفشلت!.

أو أن أتقدم بطلب لتعلم اللغة الإنجليزية وتكاسلت!.

أو أذهب إلى صالة الألعاب لأمارس بعض الرياضة لألحق جسدي الذي بدأت السمنة في ملاحقته؟

كثيرًا فكرت، وربما أخذت خطوات إلى الأمام، لكني في الغالب تراجعت!.

ودائمًا تحدث مقاومة عنيفة للتغيير، والسؤال:

كيف يمكننا أن نقاوم المقاومة؟.

كيف نهزم تلك الثورة المضادة التي تُعيدنا إلى الماضي وتحاول تشويه أحلامنا وأمانينا المستقبلية؟.

والإجابة عن هذا السؤال الصعب تكون بتبنِّي مجموعة استراتيجيات من أهمها:

1. فهم طبيعة المقاومة:

أنت بحاجة إلى فهم فلسفة المقاومة والإيمان بوجودها كجزء أصيل من عملية التغيير، القاعدة تقول: «لو كان التغيير يسيرًا لأصبح الناس جميعًا في القِمَّة».

نيران التغيير الحارقة تكوي الجميع، فقط الواعي هو من يتحمَّل ويشد عوده ويمضي إلى الأمام، هذه نقطة مهمة لو تدري، ذلك أننا نسمع كثيرًا مَن يتبرَّم



شاكيًا من أنه مصدوم من معاندة الناس له، ووقوف الظروف ضده وهو الذي لا يريد شرًّا لأحد، ولا يطمع سوى في صنع الخير، وتلك مثالية مفرطة وافتقار رهيب لفهم طبيعة التغيير وخطواته، **والأجدر - كما قلنا - في تلقي تلك المقاومة بنوع من الذكاء والوعي والتدبُّر.**

2. إضاءة كشافات التفكير:

المقاومة في الغالب تراهن على خوفنا من مواجهة الغموض، إذا ما أحببت مثلًا أن تخوض تجربة السفر أو العمل في مكان جديد أو اتباع حمية لإنقاص الوزن تبدأ مقاومتنا الداخلية في إرهابنا، عبر تخويفنا مما يمكن أن يقابلنا في التجربة الجديدة من تحديات، تحاول ذبذبة تماسُكنا من خلال تقريب سيناريو الهزيمة والفشل من إدراكنا.

التغلب على هذا الأمر يتأتى بأن تضيء كشاف التفكير لتبدِّد غموض المشهد القادم، كأن تسأل نفسك مثلًا:

ما أسوأ ما يمكن أن يُصيبني خلال خوض هذه التجربة؟ ثم تُجيب عن السؤال المهم، وهو: كيف يمكن التغلُّب على تلك المشكلات؟

اسأل من لديه خبرة سابقة، اقرأ عن خطوتك القادمة، معرفة حدود المُخاطرة مهم جدًّا، ودخولك للتجربة وأنت متهيِّء لها يُعطيك نوعًا من الوعي والإدراك المطلوبين، وينهي كثيرًا من مشاعر الغموض والاضطراب.



3. لا تبخس نفسك قدرها:

كثيرًا ما تكون الضربات التي نوجهها لأنفسنا هي الحاسمة في خسارة كثير من معاركنا.

خوفنا الدائم والنظر لذواتنا على أنها ضعيفة وغير قادرة على التحدي يكون هو السبب الرئيسي لهزائمنا في الحياة، تلعب المقاومة دورًا كبيرًا في تقليل نظرتنا لأنفسنا، واستدعاء منطقها المعوج في التأكيد على أنه من الأسلم عدم خوض تحدي يمكنه أن يكشف مساحات كبيرة من ضعفنا وهواننا.

في الحقيقة ذلك ليس صحيحًا، حيث إن قدراتنا في كثير من الأحيان تحتاج إلى تحدٍّ حقيقي يكشف حجمها، ويعيد تقييم إمكاناتها، وقت التجربة هو الذي نعرف فيه جيدًا كيف أننا أقوياء عندما واجهنا تحدياتنا وجهًا لوجه.

العظيم لا يصبح عظيمًا إلا بمواجهة خصوم عنيدين، وبحجم التحديات التي تخوضها يكون فرحك وسعادتك.

ثق بقدرتك على خوض التحدي ولا تستهِن أبدًا بنفسك، ستخسر بعض الجولات، وستحتاج للتفكير والتأمل والسؤال والاستشارة، في النهاية خوضك للتحدي هو الذي سيقرر مستواك الحقيقي.



4. ثِق بربِّك:

جعلتُها الأخيرة لتكون مِسك الختام، شخصيًّا أؤمن أن الله يريد لي الخير دائمًا، حتى في لحظات الابتلاء والشدة.

أؤمن أن الله يخبئ لي شيئًا ما حسنًا، ربما تنال مني بعض الضربات، وأتفاعل بحمق أمام توترات الحياة وأزماتها، لكن بعد انقشاع الغمة ألوم نفسي كثيرًا وأكرر بيقين صادق أن الله عز وجل يحبني ويحب لي السداد.

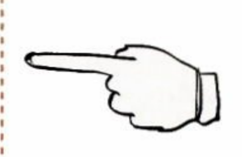
الله يحب عبده المِقدام، عالي الهِمَّة، قوي الإرادة، يحب العبد الذي يقتحم، ويحارب، ويجرب، يكافئنا في كثير من الأحيان أثناء سعينا وتعبنا، يجزل عطاءَه لنا، في الوقت الذي يمنع فيه عطاءَه عن الكسالى الخائفين.

عامل مهم يا صديقي وأنت تواجه التحدي أن تثق بربك جيدًا، وبدعمه لك، وبتيسيره لخطاك صفِّ نيَّتك دائمًا، واستحضر معيَّة الله، وتأكد من أن الرُّوح لخالقها، وأن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك.

يا صديقي في هذه الفقرة تحدَّثت معك عن قانون مهم وهو أن الماضي له سطوة وقوة جبَّارة تعمل على منعنا من التغيير إلى الأفضل، وكثير من الناس للأسف ينكسرون أمام هذه السطوة.



تؤكد كتب السِّيَر أن جمعًا كبيرًا من كفار قريش كفروا برسالة محمد ﷺ، وهم يعلمون أنه الصادق الأمين، وأن رسالته حقًّا هي رسالة الله إلى عباده، لكن خوفهم من مجابهة مستقبل مليء بالخوف والتحديات منعهم من نطق الشهادة وتصديق موعود الله، وكانت النتيجة أن سيقوا إلى جهنم زُمَرا، تصحبهم هِمَمُهُمُ الواهية وعزيمتهم الخائرة وارتباكهم المهين.



آن الأوان كي تصنع تغييرًا منضبطًا متزنًا حقيقيًّا في حياتك، دون خوف أو ارتباك من مجهول ربما يكون هو الخير لكنك لا تدري.





16. أنت قطعة أم المُحرِّك؟

المحترف يمكن أن يؤكد لك أن البشر في تعاملهم مع رقعة الشطرنج صنفان: صنف تشعر أنه مسيطر على مقاليد الأمور، يُلهيك بلعبةٍ، ويحضر لأخرى، ويُفاجئك بثالثة، يلعب بكلاسيكية وتحكُّم مدهش، على الجانب الآخر هناك من يتخبط في اللعبة، تشعر به وكأنه قد تحول إلى وزير مُحاصَر، أو ملك مضطرب، أو حصان يبحث عن طريق نجاة، لقد حاصرته اللعبة في مربعات محدودة وتركته يفك طلاسمها دون أن يستفيد بباقي إمكاناته!



الملل قد يتسلل إلى الإنسان من كثرة ما سمع خلال الفترة الماضية من كلام مرسل كثير حول النجاح والتميز وعلو الهِمَّة، والحكماء نبهونا قديماً إلى خطورة الكلام الكثير، حيث إن كثرة الكلام يُنسي بعضه بعضًا، وربما يُفرغ الحديث من مضمونه، ويُذهب تأثيره وقوته وحماسته.

لكنني في الحقيقة لا أملُّ من تنبيه نفسي وأصدقائي من خطورة أن نسجن أنفسنا في مصيدة الحياة، دون أن ننتبه إلى أن الحياة فعليًّا ليست ضيقة، ولا خانقة، ولا كئيبة.

أثناء كتابتي لهذا الكتاب جاءني اعتراض من أحد المتحدثين في مجال الطاقة البشرية، ينتمي لتلك المدرسة التي تتحدث عن الطاقة التي تشع من جسد الإنسان لتلامس طاقة الكون، وكيف يمكن أن نقيس تلك الطاقة، وأهمية أن نُصدر للكون من حولنا طاقة إيجابية فعَّالة، فتبرأ أنفسنا من الأمراض، ونصبح سعداء حقًّا.



كان اعتراض هذا الشخص على أنني دائماً أتحدث عن الحياة كأنها معركة ومضمار سباق، وتنافُس محموم، وهذا مما يزيد من انتشار الطاقة السلبية في الكون، وتحداني بمناظرتي في أي مكان أختاره كي يثبت لي أن ما أكتبه للناس هو محض خرافات، تهدم أكثر مما تبني، وتُوجِع أكثر مما تشفي!.



ولأن من عاداتي أن أقوم دائمًا بعمل «غربلة» لأفكاري وقناعاتي من وقت لآخر، لأُسقط من ذهني تلك الأفكار الخاطئة التي قد تسكنه، فلقد أجَّلت الرد على هذه الاتهامات إلى ما بعد إجراء «الجرد» الدوري لذهني، وحينما فعلت ذلك وجدت أن الحياة كما وصفها ربنا - جلَّ وعلا - هي دار تَعَبٍ ونَصَبٍ ومَشَقَّةٍ، وبأن الله حينما وصف الإنسان قال في كتابه العزيز:

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤﴾ (البلد : 4)

وأثناء بحثي عمَّا يعنيه ربنا سبحانه وتعالى من كلمة «كَبَد»، والتي فهمتها على أنها المشقة والتعب المضني، وجدت في تفسير **الإمام القرطبي** رحمه الله كلامًا نفيسًا في تفسير هذه الآية، حيث يقول:

أول ما يكابد (أي الإنسان) قطع سُرَّته، ثم إذا قمط قماطًا - أي ارتدى الملابس التي يشدون بها جسده بعد الولادة - وشدَّ رباطًا، يُكابدُ الضيق والتعب، ثم يكابدُ الارتضاع، ولو فاته لضاع، ثم يكابد نَبْت أسنانه، وتحرُّك لسانه، ثم يكابد الفِطام، الذي هو أشد من اللطام، ثم يكابد الختان، والأوجاع والأحزان، ثم يكابد المعلِّم وصولته، والمؤدِّب وسياسته، والأستاذ وهيبته، ثم يكابد شغل التزويج والتعجيل فيه، ثم يكابد شغل الأولاد، والخدم والأجناد ثم يكابد شُغل الدور، وبناء القصور، ثم الكِبر والهرم، وضعف الركبة والقدم في مصائب يكثر تعدادها، ونوائب يطول إيرادها، من صداع الرأس، ووجع الأضراس، ورمد العين، وغم الدَّين، ووجع السِّن، وألم الأُذن.



ويكابد المِحَن في المال والنفس، مثل الضرب والحبس، ولا يمضي عليه يوم إلا يُقاسي فيه شدة، ولا يُكابد إلا مشقَّة، ثم الموت بعد ذلك كله، ثم مسألة المَلَك، وضغطة القبر وظلمته، ثم البعث والعرض على الله، إلى أن يستقرَّ به القرار، إما في الجنة وإما في النار.

فصدق الذي قال في سورة البلد:

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾﴾



في شكل بديع - وإن كان محزنًا ومؤلِمًا - ينبِّهنا الإمام القرطبي إلى أن حياة الإنسان هي سلسلة من الابتلاءات المكتوبة على بني البشر، والتي لا مراء سيتعثر في كثير منها وهو سائر.

ورغم إيماني العميق بحتمية الابتلاء لبني البشر، إلا أنني أؤمن كذلك أن الإنسان قادر على تحريك حياته وِفق ما يرى ويؤمن ويشتهي.

إنني وإن كنت أُسهب في الحديث عن ضغوط الحياة فذلك حتى يتسنَّى لنا العيش فيها بواقعية، دون أن نشعر أن هناك ثمة طعنة غادرة قد أتتنا من حيث لا ينبغي ودون توقُّع منَّا.

أحاول دائمًا أن أصل معك إلى درجة من الثبات تجاه أي أزمة قد تواجهك لكنني لا أبغي أبدًا تحطيمك، أو بث القنوط واليأس في قلبك.

إنني أؤمن أن الابتلاء مكتوب، والصعوبات جزء من الحياة، لكنني بكثير تأمُّل وتدبُّر وجدت أننا نتعامل مع الحياة بأحد خيارين:



أما الأول فهو الغرق في المشكلات والضغوط، فترى الواحد منَّا يبذل جهده في محاولة النجاح في الدراسة، يُمضي في ذلك عمرًا من التوتر، بعد ذلك يُسخر حياته في توفير عمل جيد له ليبدأ بعدها ترتيب الأمور للزواج وتأثيث البيت وإن هي إلا أشهر معدودات إلا ويأتي رزق الله بذرية تستتبع نوعًا آخر من الهموم والضغوط، بعدها يبدأ خريف العمر وتتساقط أوراق حياته ورقة ورقة، ويزحف الشيب إلى رأسه وتحتضنه الشيخوخة بمودة حقيقية ليجد نفسه ذات يوم على الرصيف وقد ودع قطار الحياة الضيق.

هذا خيار يلجأ له صنف من البشر - وهم كُثُر في الحقيقة - يتعب ويجتهد ويبذل جهده، القاسم المشترك في حياته كلها هو الركض المتواصل من أجل إنهاء متطلبات المرحلة.

الصنف الثاني من البشر يمر بكل هذه المحطات، لكن بشكل مختلف، يرى بأن الحياة أكثر رحابةً من أن يقضيها مختنقًا عاجزًا، يأخذ الجزء الأول من عمره في تكوين وخلق حلم، في بناء صورة مستقبلية مأمولة، فيرى نفسه شاعرًا، أو كاتبًا، أو قاضيًا، أو رسَّامًا، أو رجل أعمال، أو صاحب مشروع مجتمعي يساعد من خلاله الناس.

ثم يبدأ ومنذ اللحظة التي يؤمن فيها بحلمه هذا في اتخاذ القرارات، في الاصطدام بمجتمع يدفعه دائمًا إلى السير في طرق بعينها.

ربما يحتاج إلى مخالفة أب لا يؤمن بما يؤمن به، وصدم الأم التي عاشت تحلم بولدها وقد أصبح صورةً ما هو لا يرى نفسه فيها، يصطدم بمجتمع قد تعود السخرية من أحلام الصغار، وبيئة ربَّت أبناءَها على اختيار المعهود والمعروف وعدم المغامرة.

لكنه يخوض كل المصاعب من أجل تحقيق غايته، تجتمع جُلُّ ابتلاءات حياته في تلك المرحلة المفصلية الحاسمة، لقد قرر بملء إرادته أن يستعجل الابتلاءات ليخوضها مبكرًا.

هو يعلم أنه سينتصر، رغم آلامه وأحزانه ونظرات الضجر والحزن والشفقة التي يراها في عيون الآخرين من حوله إلا أنه مؤمن بهدفه وما يريد، إنه لا يرى نفسه سجينًا، لا يرى نفسه حصانًا على رقعة الشطرنج عليه أن يقفز القفزات الثلاث ثم ينتظر كي يقوم الخصم بنقلته القادمة ليتصرف على إثرها.



إنه يؤمن أن الرُّقعة كلها ملك له، وأنه هو المتحكِّم في كل الحركات عليها.

كان أشرف صديقي يحب التصوير، يرى نفسه مخرجًا متميزًا، ورغم سنوات عمره التي لم تتجاوز الثمانية عشرة إلا أن أشرف بدأ في تهيئة نفسه عبر حضور دورات في التصوير التلفزيوني والإخراج، وأخذ في تجميع مبلغ مالي لشراء



كاميرا يمكنه من خلالها إشباع نهمه بالتصوير والمونتاج.

اصطدم أشرف بأبيه، الرجل المكافح العصامي الذي أسس شركة ذات ثِقل في سوق الأعمال، والذي لن يقبل أن يكون ولده، والذي أعده ليصبح ذراعه اليمنى في العمل شابًّا رقيعًا يمسك الكاميرا ويركض خلف الفراشات الملونة ليصورها!.

دعك من تربية الأب الدينية الخاطئة والتي دفعته لتلخيص التصوير والإخراج على أنه نشر للإباحية، اصطدم أشرف بوالده، ورأى الأب أن ابنه يضيع منه، بيد أن البعض نصحه أن يتركه قليلًا، فستذهب السَّكرة بلا شك وسيعود إليك نادمًا، بعدما يمل هذا العبث، فهو في سن المراهقة ومثل هذه الأشياء تحدث كثيرًا لأبنائنا هداهم الله.

وهكذا أدار الأب ظهره قليلًا عن أشرف.

فهل عاد صديقي أشرف إلى كنف أبيه؟

منذ أيام كنت في زيارة لصديق لي يملك شركة إنتاج تلفزيوني، وأثناء الحديث تطرقنا إلى البرامج الوثائقية والقنوات التي تعرضها، وقتها شكا لي صديقي من أن سوق الأفلام الوثائقية في الوطن العربي قد اقتسمته شركات محدودة، لها باع وخبرة واكتسبت ثقة القنوات الكبرى وعدَّ لي الشركات فكان من بينها شركة أشرف!.

أشرف، يا صاحبي، لا يزيد عني وعنك شيئًا، كل ما هنالك أنه رفض رفضًا

قاطعًا أن يكون قطعةً على رقعة الشطرنج، رأى أن الرُّقعة بها مساحات كبيرة يجب أن تُستَغَل، أحلامه أعظم من أن تُختزل في مربعات محدودة فقرر أن يكون هو اللاعب الرئيسي لمباراة حياته.

أشرف خاض أشد حروبه في بداية حياته من أجل فِعل ما يؤمن به، لم يبحث عن الخيار الأسهل، لأنه يدرك أن ما هو سهل اليوم ربما يخنقه غدًا، وأن التعب لا شك موجود والابتلاء واقع..

فليكن تعبنا وابتلاؤنا ونحن نبحث لأنفسنا عن دور حقيقي في الحياة، لأن لذة الوصول إلى الغاية تشفي القلب المكدود، وعندما نصل إلى ما نشتهي - مهما كان الطريق وعرًا سيئًا - سنهنأ ونرتاح، وقد شعرنا بطمأنينة وراحة بال.





(17) لا تنخدع

البعض يخسر المباراة قبل أن تبدأ، يُسلم مفاتيح عقله لخصمه كي يعبث بها، يُصدق ما يقوله له، يؤمن أنه خاسر وأن لا سبيل للفوز.

يبدو خصمه ضخماً حينها، عبقريًّا، يستحيل هزيمته فكلامه، وحركاته، والهالة التي يصنعها حول نفسه تفعل الأعاجيب، والأكف التي تصفق له وتهتف باسمه تؤكد أن لا سبيل للانتصار عليه، حينها يرى اللاعب أن يترك الرقعة ويُعلن هزيمته، ويقرر أن ينضم لقائمة مريديه.



17. لا تنخدع

إن المحتالين يدورون بيننا كل يوم، يحيطون بنا، ينسجون شباكهم في دأب وتؤدة، ثم ينتظرون سقوط الضحايا تباعًا، وفي لحظة يعلمها المحتال جيدًا يبدأ في تدوير خطته، فينفث في رُوح ضحاياه بتعويذته الخاصة ليصيروا أتباعًا له ويأتوا بالمزيد من الضحايا إليه!.

في لعبة الشطرنج ستقابل اللاعب المحتال، الذي لا يملك خططًا للنصر بقدر ما يملك أساليب مُخادعة وإيحاءات نفسية، قوته تظهر خارج الرقعة لا داخلها المشكلة أن البعض يقع تحت سحر أسلوبه وتأثيره، الهالة التي يحيط بها نفسه تدفعك لإعطائه أكبر من حجمه.

وكما حذرنا من قبل من الاستخفاف بالخصم، هناك خطر أيضًا من المبالغة وإعطاء الخصم قوة أضخم بكثير من قوته، لأنها ستدفعنا إلى تفسير خطواته بشكل خطأ، ووضع افتراضات غير حقيقية لما يقوم به، هذا قد يدفعك فعليًّا للخسارة والسقوط، أو على أفضل الاحتمالات قد يؤخرك كثيرًا عن بلوغ نصر كان يجب عليك اقتناصه مبكرًا.

والحياة تؤكد وجود محتالين على جميع الأصعدة، في مجالات: **الطب والهندسة والفنون والفلسفة والسياسة والاقتصاد والإعلام...**

> الناس بسطاء العقول، وتسيطر عليهم حاجاتهم المباشرة، إلى درجة أن الرجل المُخادع يجد دائمًا كثيرين ممن على استعداد مُطلَق للانخداع.
>
> نيقولو ميكافيللي



إنهم قابعون في كل مكان يعرفهم الفطن بسيماهم ويجهلهم بقية الناس.

وفي أمثالنا الشعبية أقسم أجدادنا أن الله لا يخلق محتالًا إلا ويخلق معه عشر ضحايا، لذا لا تجد محتالًا عاطلًا أبدًا، إنهم في شغل إلى يوم يُبعثون!.

والاحتيال مهنة قديمة، والمحتال يُعدل ويُطور من الاستراتيجيات التي يمارسها حسب الواقع وطبيعة الضحايا وشدة الاحتياج، فالمحتال يلعب على شيء مهم جدًّا وهو احتياج الناس لأمر ما.

احتياجهم للشعور بالأمن، أو الثراء، أو الصحة، أو المال، أو الأمل.

وفي الحقيقة إننا بحاجة ماسة لمعرفة أساليب الاحتيال، وطرق المحتالين واستراتيجياتهم التي تمكِّن لهم خلق طقوسهم المقدسة وتشكيل أتباعهم، نحن أحوج ما نكون لتحصين وعينا بفهم أعمق لحيل المحتالين، وذلك لن يكون إلا بفهم الطريقة التي يعملون بها.

WARNING

النصاب يا صاحبي يمكن أن يكون سياسيًّا لامعًا، أو عالم دين يلبس لباس التقوى والورع، وقد يكون مُفكرًا كبيرًا، أو رجل أعمال مرموقًا، فحيثما تدور المصلحة يدور إنه عنيد لا يعجزه شيء.

ونأتي الآن للسؤال المهم:

كيف يصنع المحتال عالمه، ويوهم ضحاياها ؟



قلنا أن المحتال يعبث بعقول هؤلاء الذين يحتاجون لشيء ما، دوافع الاحتياج تكون كبيرة، وما إن تصطدم بوعود الدجال التي تروي ظمأها إلا وتتحول إلى ما يشبه الشغف والذي يمنع الذهن من التفكير المنطقي المنظم.

كنت أود أن أقول أن الدجال يجد زبائنه في المجتمعات الأمية ضعيفة التعليم لولا أن الواقع يصدمنا بأن نسبةً لا بأس بها من ضحايا الدجل والنصب يحملون أعلى الشهادات وأرقاها، الأمر هنا ليس متعلقًا بالقراءة والكتابة، الأمر متعلق بمدى نشاط عضلة التفكير الناقد، والقدرة على النفاذ إلى قلب ما يُقدَّم لنا وتجريد الكلمات والحقائق التي نسمعها من أي بهرجة أو هالة يحاول النصاب إضفاءَها عليه من خلال أسلوبه أو طريقته، أو مركزه.

مواصفات المحتال أو «كيف تُصبح مُحتالًا في 8 خطوات؟»

1 يعمد المحتال دائمًا إلى استخدام العاطفة والحماسة أكثر من العقل والمنطق والتفكير الموضوعي، يداعب لدى الناس المناطق المقدسة لديهم، سواء كانت دينية أو عرقية.

2 المحتال لديه قاعدة معرفية لا بأس بها، وهذا عكس ما يظن البعض من أن النصاب كاذب في كل ما يطرحه ويقوله، إنه يمتلك معلومات ومعارف بنسبة ما، عبقريته الحقيقية تتأتى من قدرته على خلط هذا القليل من الحقائق بالكثير من الأكاذيب وإظهارها على أنها حقائق خالصة ودقيقة وثمينة.



3

المحتال لديه بذخ في الوعود، كلماته تفتقر إلى الدقة ويملؤها الغموض، يريحك كثيرًا حال الاستماع إليه أو الوقوع تحت تأثيره لكنك لا تستطيع أن تمسك بيديك ثمة فائدة مرجوَّة منه.

4

بجانب الغموض الذي يصنعه المحتال، فإنه كذلك يلجأ إلى تبسيط الحلول، إنه يتكئ على حقيقة بشرية وهي أن معظم الناس يبحثون عن حلول سريعة وبسيطة لمشكلاتهم، فالمريض يريد من يخبره أن بعض الأعشاب قليلة التكلفة سريعة المفعول يمكنها علاجه وأن الأطباء جشعون يريدون «مصّ» دمه لآخر قطرة، وأصحاب الأمراض النفسية يريدون من يؤكد لهم أن عليهم تكرار عبارة «**أنا أجمل شخص في الكون**» عشر مرات صباحًا لمدة 21 يومًا كي يتحول وجه الحياة ويصبح جميلًا مشرقًا، والزوجة التعيسة تريد تعويذة من شيخ، والجماهير تريد رئيسًا أو زعيمًا يلهب حماستهم بالخطب الرنانة ويخطب فيهم أنهم أعظم الشعوب وأفضلها، وهكذا.

لا أحد يود أن يكون منطقيًّا، إنهم جميعًا يشتاقون إلى العلاج السهل، والنجاح السهل، والعيش السهل، وهذا ما يفعله المحتال جيدًا ويتصرف على إثره، إنه لا يشرح للناس أن الحياة صعبة ومعقدة إنه يلجأ إلى الحلول السهلة السريعة ويخلطها بخبث شديد ببعض الحقائق الدينية أو الموروثات الشعبية التي تلقى ترحيبًا من الجماهير.

5

المحتال يدرك جيدًا أن المزاج الجماعي يمكن خداعه أكثر من المزاج الفردي، لذلك يميل الى استخدام الجماهير كعامل إيجابي في تأكيد كذبه وأباطيله، فالناس عند التجمع يكونون أكثر قابليةً لحديث المشاعر والعواطف، ويؤجلون المحاكمات العقلية أو يُلغونها تمامًا، وتختفي أيٌّ نواقص أو عيوب في أفكار المحتال في غمرة حماس الجموع، بل يكون رد الفعل عنيفًا تجاه من يحاول التشكيك فيما يقوله المحتال.

6

كما كان المحتالون قديمًا يلجؤون إلى البخور كنوع من التأثير والمحافظة على وقوع الضحية تحت سحرهم فإن المحتال اليوم يلجأ إلى التأثير البصري من خلال التكنولوجيا الحديثة والتي تعطي مسحة علمية لما يقوم به، كما أن البذخ والإبهار البصري يُعمي الضحية عن رؤية أي ثقوب مهما كانت واضحة.

7

في وقت الهجوم عليه يلجأ المحتال إلى إشعار الجميع أن الحرب ليست موجَّهة ضِدَّه شخصيًّا وإنما ضد الأفكار والمعتقدات التي يحاول تقديمها للناس، هنا هو يجعل كل شخص آمن به أو صدقه جزءًا من حائط الصد الذي يحتمي خلفه، يصرخ في أتباعه أن حاربوا من أجل الخير والحق الذي أعطيتُكم إياه، ثم يرتدي عباءة الشهيد موهِمًا الجميع أنه منتظر لمدد من الله والملائكة، يعود بنا



هذا إلى التأكيد على أن المحتال شخص قادر على الحشد والتجييش وإذا لم تكن مواجهة المحتال قوية وفعَّالة وحاسمة فإنه سيُفلت كالزئبق من أي محاولة لمحاصرته.

8

يحتاج المحتال في بعض الأوقات إلى استخدام التهديد والتخويف من أجل الحفاظ على هيبته، إنه يعلم جيدًا أن البعض سيشكِّك فيما يقول، إنه بتهديده هذا يُعطي لأتباعه الإحساس بالأمان من خلال تأكيده لهم أن الخطر سيحل فقط على هؤلاء الذي لا يؤمنون بما يقول، والدجال قد يهدد حسب مجال تخصصه أو حسب ما يرى أنه مؤثر في نفوس من حوله، فقد يهددهم بعذاب الله، أو الأمراض الفتاكة، أو الحزن والقلق والاضطراب، أو المجهول، المهم لا بُد من عقاب ما سيطال من يخالف القواعد والقوانين.

يؤكد نبيُّنَا ﷺ أن **المؤمن كيِّسٌ فَطِنٌ**، وكأنه يُخبرنا أن التديُّن يجب أن يستتبع ذكاءً عقليًّا، ونباهةً، وقدرةً على التفكير والتحليل العميق، والتي تعصمنا من الوقوع في ضلالات الأوهام، وأن المغفلين والحمقى لديهم ثمة إشكالية في الإيمان والتدين.

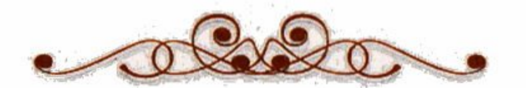
لكن يبدو أننا قد أسأنا فهم هذا التوجيه النبوي، فقد صِرنا نرى الناس يُخدعون باسم الدين بدلًا من أن يفيقوا وينتبهوا به، مما حدا بأي نصاب أو محتال



لأن يجعل في جعبته دائماً بضعة أحاديث نبوية وآيات قرآنية يكسب بها ثقة الناس وتقديرهم.

يا صاحبي، إننا بحاجة كي نربح «**لعبة الحياة**» أن نحصِّن أذهاننا تمامًا تجاه أي محاولة للخداع، بحاجة إلى أن نتعلم كيف نجعل الذهن يقظًا على الدوام، ناقدًا لكل ما يرى أو يسمع، لا ينبهر بالأشخاص ولا بالأحداث، وإنما يقتنع بالذي يحترم عقله ومنطقه.

وليس معنى هذا أن نكون مشاغبين على الدوام مجادلين في كل كبيرة وصغيرة، لكن اجعل لديك دائمًا «فلتر» يعمل على تصفية ما يدخل لعقلك وحاول أن تتدبر وتتفكر وتتأمل، ولا تخشَ من التفكير والنقد، والحضور العقلي، لأنك حينها ستكون عصيًّا على الانقياد خلف هؤلاء الذين يبيعون الوهم للناس.





(18) الصندوق

بعد انتهاء اللعبة يوضع الملك بجوار العسكري في الصندوق، يختلط الأبيض بالأسود، تنتهي المعارك، تهدأ الأصوات، وتؤخذ هدنة ربما تمتد للأبد، فالجميع يسكن جوف صندوق مُغلَق صامت.





وماذا بعد كل الصراعات التي خضناها؟

ماذا بعد التفكير، والتدبير، ووضع الخطط، وتوجيه الضربات؟

بعد التتويج عند انتصارنا، أو الانكسار حال هزيمتنا؟

الجميع سيُحمَل في تابوت، سيرتفع فوق الأعناق لبرهة قبل أن يُقذَف به في باطن الأرض.

وهناك عظام الرؤساء لن يمكن تمييزها عن عظام البسطاء، الكل سواء الملك والوزير والجندي، يتراصُّون بجوار بعضهم البعض...

لِمَن المُلكُ يومئذٍ؟

صوت الحق فقط هو الذي سيُسمَع، ولا صوت غيره.

لقد انتهت اللعبة على السطح، وآن أوان التقييم الحقيقي، هنا في ساحة العدل.

في تلك اللحظة ستتباين الرؤى، ستتضح أكثر.

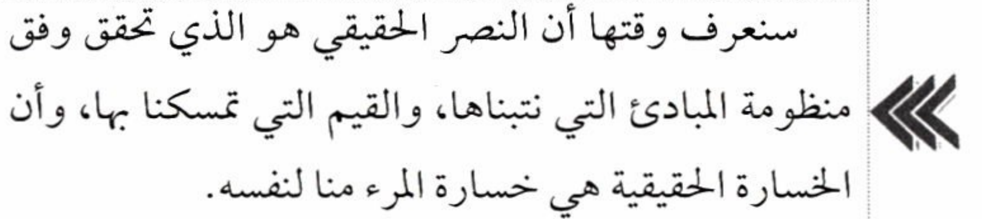
سنُدرك وقتها أن كثيرًا من النصر لم يكن نصرًا، وغير قليل من الهزائم لم تكن هزائم.



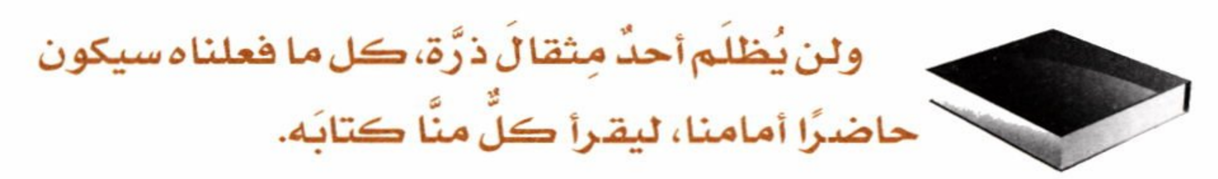
الشرف، والصدق، والمروءة، ستأخذ مكانها على الرُّقعة، ستتحكم في تحريك القطع بعدما غابت عنها في ظل صخب الحياة وضجيجها!.

البعض - ممن انتصر سابقًا - سيصرخ أن يا ليتني كنتُ ترابًا!.

البعض الآخر سيصرخ أن انظروا لانتصاري الحقيقي، اقرؤوا كتابي.


سنعرف وقتها أن النصر الحقيقي هو الذي تحقق وفق منظومة المبادئ التي نتبناها، والقيم التي تمسكنا بها، وأن الخسارة الحقيقية هي خسارة المرء منا لنفسه.

وحريٌّ بمن علم الحقيقة، وأدرك أن الصندوق ينتظره أن يتمهَّل وهو يلعب لُعبته القادمة، لأننا يومًا ما سنُسأل عنها، وسنكون مطالَبين بتقديم مبررات حقيقية لما قمنا به، ولن ينفعنا حينها تصفيق مُصفِّق، ولا تهليل مُشجِّع، فرُمَّانة الميزان مضبوطة.

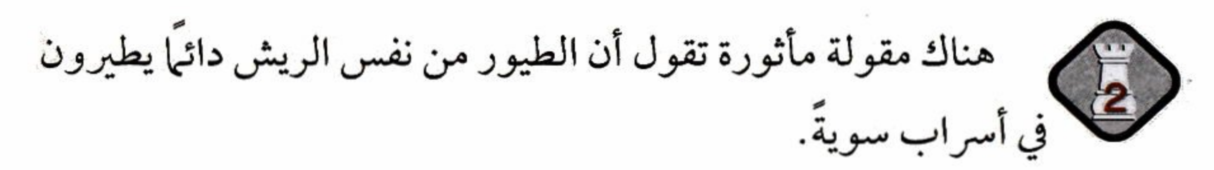

ولن يُظلَم أحدٌ مِثقالَ ذرَّة، كل ما فعلناه سيكون حاضرًا أمامنا، ليقرأ كلٌّ منَّا كتابَه.




في الحياةِ
كما في رُقعةِ الشَّطرنج

يجب أن تخطط للمستقبل، أن تفكر على المدى الطويل، هذا هو مفتاح البقاء على قيد الحياة في لعبة الشطرنج، فقبل أن تقرر اتخاذ خطوة معينة، يجب أن تسأل: «ماذا لو... ؟».

يجب أن تعمل على محاولة استباق النتائج المحتملة من خطوتك تلك، عليك أيضًا العمل على وضع خطة احتياطية وتجهيز تحوُّل استراتيجي للخروج أو التراجُع عند حدوث ما قد لا تتوقعه.



هناك مقولة مأثورة تقول أن الطيور من نفس الريش دائمًا يطيرون في أسراب سويةً.

إنك لا تلعب الشطرنج إلا مع شخص يُجيد اللعبة نفسها، الحياة أيضًا كذلك أنت تمضي فيها مع مَن يُشبهك ويتماثل معك في بعض القناعات والأفكار...

وبناءً عليه فعليك أن تتعلم أن تكون دائمًا في سرب الناجحين والمتفائلين والواثقين من أنفسهم، ذلك سيؤثر كثيرًا على قدرتك في مواجهة التحديات والتعامل بنجاح في حياتك.

بلا شك الواقع سيدفعك إلى معاشرة بعض الشرائح التي يجانبها التوفيق ويلازمها التعثُّر والسقوط، لا بأس، ساعدهم ما استطعت ليجدوا أنفسهم، فإذا لم تنجح في ذلك اتركهم قبل أن يجذبوك لأسفل.



3
عكس ما قد يبدو للبعض، فإن التعايُش مع القوانين يجعلك أذكي في حياتك وأكثر إبداعًا، ذلك لأنك تخطو للأمام ولا تتطرق للالتفاف حول نفسك.

إذا أردت أن تفوز بالحياة وألعابها الكثيرة عليك أولًا أن تتعلم قوانينها.

4
أسهل وسيلة للخسارة في الشطرنج هو تجاهل خصمك وخطواته سواء كانت ذكية أو اندفاعية.

لا تنظر إلى خطواتك وحركاتك فقط، فكر في خصمك وفيما يصنعه معك وبك، **الحياة ليست أنت وفقط،** يمكنك أن تفكر وتدبر وتحيك الخطط، لكن القدر يمكن أن يفاجئك بما لم يكن في الحسبان، الذكي هو الذي يجعل ما ليس في الحسبان حاضرًا، أن يتحرك وفي ذهنه المفاجآت والحركات التي ربما تدفعه إلى أن يغير كل شيء في لحظة.

5
اصبر وقد يسقط وحده، في الشطرنج كما في الحياة.

الصبر قد يدغدغ إصرار خصمك، قد يدفعه إلى التسرُّع والتهوُّر هناك من يستثقل الصبر ويندفع كي يُنهي اللعبة، هؤلاء غنيمتك الباردة خصوصًا في ظل استعار نار المعركة واحتدامها.

6
لا يوجد طريق واحد ومحدد وصريح للوصول الي شئ ما، ذلك أنه لو كانت هناك وسيلة وحيدة لقتل الملك لما كان هناك الكثير من



البيادق، والحصان والفيل والوزير والقلعة، الحياة كذلك بها العديد من الخيارات التي تمكّنك من الوصول إلى مُبتغاك، **لكن في وقتٍ ما تكون هناك ثمة وسيلة بعينها هي الأكثر مناسبةً والأفضل والأسرع، والأكثر حسماً من غيرها.**

7 لن تستطيع أن تحيا وحدك مهما خيَّل لك غرورك أو علا شأنك فرغم كون الملك ملكًا، إلا أنه مُحاط بالكثير من الحاشية الذين لا مهمة لهم إلا مساعدته وحمايته، وإن لم يعترف الملك بذلك فإنه سيقع في دائرة التهديد المباشر والخطر.

أسوأ ما قد يفعله الإنسان في الحياة أن يرفع عقيرته مُدَّعيًا أن لا فضل لأحد عليه، أو أنه قادر على الاستغناء عن الجميع، **عقاب الحياة شديد وقاسٍ لأمثال هؤلاء**، حيث ترسل حوله الذباب من البشر محترفي النفاق، وأساتذةً التملُّق والمداهنة، والذين يسلمونه للعزلة الرُّوحية والنفسية والتي تُفضي به بدورها إلى النهاية المريرة، والسقوط المريع.

8 **عليك أن تكون ممتنًّا لخصومك في الحياة**، فمما لا شك فيه أن لهم فضلًا كبيرًا في تعليمك مهارةً ما للتغلُّب عليهم، والتعايُش لفترة تحت ضغطهم ومنافستهم أكسبك قوة كبيرة في معاركك المستقبلية.

9 خصومك ليسوا أعداء، تعلم جيدًا أن تفرق بين خصمك الذي تقاطعت مصلحته مع مصلحتك، وصار مضطرًّا في سبيل تحقيق انتصاره الشخصي إلى أن يُلحِق بك بعض الخسائر المشروعة، وبين عدوك الذي يضع أمرَ سحقِكَ وإسقاطك هدفًا له.

10 ثِق في حدسك، واستفتِ قلبك، الحياة ليست كلها معادلات ولا تُحسَب كلها بالورقة والقلم، ستحتاج في أوقات ما أن تتبع شعورك وتتقدم بناءً على نصيحة داخلية.

11 كل أساتذة الشطرنج سيخبرونك أنك كثيرًا ما ستلجأ إلى مقايضة مكاسب صغيرة على المدى القريب بمكاسب كبيرة على المدى الطويل بأن تضحي بقطعة أو أكثر من أجل الوصول لصيدٍ ثمينٍ يستحق ما قد تُسقطه من جعبتك ليتلهَّى به خصمُك.

12 ليس دائمًا العباقرة هم الرواد، **المجتهدون هم الطليعة في الغالب** ذلك أن العبقرية قد تخدع، وقد تُصيب صاحبها بالغرور أو الاستهتار والعِبرة دائمًا في إعلان المنتصر ليست في عبقريته، لكن في قدرته على الوصول للنهاية وتحريك شفاهه بكلمة الحسم: «**كِش ملك**».

13 الخبرة والتميز لا تتأتى إلا لمن حاول كثيرًا، وأخفق كثيرًا، وتعلم تقبُّل الهزيمة كجزء من تكوين شخصيته كلاعب محترف، لا يُمكن في اللعبة أن تنتصر دون أن تتدرب وتمارس اللعبة مرات ومرات.

14 لا تعترف بالحلول الوسط، أنت إما رابح أو خاسر، إما أن تكون مغامرًا، مِقدامًا، مقتحمًا، وإما أن تكون خاسرًا. ملحوظة: يمكنك ألا تلعب، وتشاهد المباراة من كراسي المتفرجين!



15 لا ينبغي أن تكون مقروءًا، في الحياة كما في رقعة الشطرنج تحتاج إلى أن تكون خطواتك المفاجئة - الإبداعية - حاضرةً بقوة كي تربح اللعب التقليدي المتوقَّع يُخسرك دائمًا.

16 أنت تملك أكثر من قطعة، **لا ينبغي أن تبني خطتك على قطعة واحدة**، وذلك لأن إمكانية إصابتها محتملة، فإذا لم تكن لديك الخطة البديلة، واللاعب البديل، والرؤية البديلة، ستخسر مباراتك، العب بالوزير والحصان والفيل، وابنِ خُططًا احتياطيةً دائمًا.

17 خصومك ليسوا سواءً، في الشطرنج يعمد البعض إلى إخلاء الساحة بعملية قتل انتحارية، يحب أن يجعل عدد القطع على الرقعة أقل، وزير مقابل وزير، حصان مقابل فيل، وهناك من يلعب بحرص، يحتاج إلى كل قطعة، هناك الحذِر، وهناك المندفع، وكذلك في الحياة، ستقابل في مواقف مختلفة، وفي معارك كثيرة خصومًا ذوي طبائع نفسية مختلفة، ذكاؤك ألا تضع نفسك في دائرة الغير، ألا تكون دائمًا رد فعل!.

المثل الانجليزي **يحذرك من أن ترقص على نغمة خصمك، حيث سيتحكم في حركة جسدك بالإيقاع الذي يعزفه.**

لذا تعلم ألا يجبرك أحدهم على اللعب بطريقته، عليك أن تكون أكثر ذكاءً في جذبه إلى أرضك، واللعب بطريقتك وأسلوبك أنت.



18 استثمر مواردك وكل ما تملك، تعامل مع جميع قطع اللوحة واصنع منهم خطوات توافقية متناغمة، يجب أن يخدم بعضهم بعضًا من أجل حماية الملك والوصول لملك الخصم، **لا تستند على قطعة أكثر من القطع الأخرى فإنك بذلك تعرِّضها للخطر أكثر، ولا تتجاهل أي قطعة ظنًّا منك أن قدرتها وحركتها غير حاسمة.**

19 في الشطرنج نفترض دائمًا أن الخصم سيفاجئنا بالحركة الأفضل والأكثر ذكاءً، لذا يكون لدينا استعداد دائم لمواجهة ما يحدث على الرقعة، **في الحياة للأسف نتخيل أن الهدوء والسلاسة هما ما سيقابلنا**، لذا نصطدم كثيرًا ونُفاجأ ونضطرب.

نحن بحاجة إلى أن ننشط عضلة التحفيز والانتباه، وهذا لا يُنافي حُسن الظن بالله، ولا الثقة بالنفس، لكنه يوقظنا دائمًا ويجعلنا أكثر مرونةً في التعامُل مع الصدمات المفاجئة.

20 لا تُسرع في كشف ملكك، اجعله مختبئًا لبعض الوقت خلف العساكر المتراصَّة أمامه.

في الحياة لا تُعلن عن نفسك ولا أهدافك إلا بعدما تدرس الواقع من حولك، البزوغ قبل الاستعداد أمر خطِر، أي خطوة يجب أن يسبقها تركيز وانتباه وتخطيط وتحضير، ولو تأملت سترى كثيرين من حولك بزغوا فجأةً ثم انطفأت شمعتهم لأن بزوغهم كان في الوقت الخطأ.

21 يجب أن تكون حركتك الصحيحة في الوقت الصحيح، فاللاعب الذي يقوم بالخطوات الكبيرة مبكرًا يخسر المبادرة والمفاجأة، ومن ثَم يفقد التحكُّم في اللعبة.

22 البساطة مهمة أحيانًا، أنت غير مُطالَب بأن تنسج الخطط في كل الأوقات، عندما يتطلب الأمر منك التعامُل ببساطة وهدوء افعل ذلك.

23 لاعب الشطرنج دائمًا ما يثق في قطعة بعينها يرى أنها طريقُه للفوز والنصر، الحقيقة تقول أنك تتقدم وتنتصر بالقطع الموجودة فعليًّا على الرقعة، والحياة تفرض علينا كي ننتصر أن نتفاعل بإيجابية مع الأشخاص الموجودين في حياتنا فعليًّا وليس فقط من نثق بهم.

يجب أن تتعلم كي تجعل الآخرين دائمًا على استعداد لمساعدتك وتقديم العون لك.

24 آمُل أن تعي هذا جيدًا، ضع الخطة بالقطع التي تملكها على اللوحة ولا تضع الخطة على القطع.

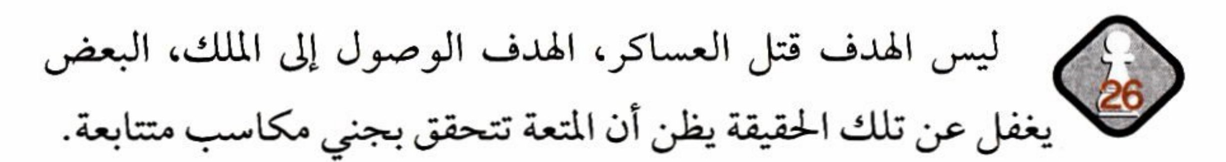
الأولى: تعني أن الخطط تتغيَّر وِفق أي مستجدات.

الثانية: تعني الارتباك والتخبُّط والفشل حال خسارة قطعة بنيت عليها كل أملك في النصر.



لا تضع كل أملك أو طموحك أو حياتك في شيء أو شخص بعينه إن ذهب ذهبت حياتك معه، ضع دائمًا في ذهنك كل الخيارات والأطروحات الأخرى مهما كانت قاسية ومؤلمة.

25 اللوم الطويل للنفس حال القيام بحركة خاطئة سيدفعنا إلى ارتكاب أخطاء أخرى مجددًا، لا تصرف الكثير من وقتك في لوم وتقريع النفس، وانظر دائمًا للأمام.



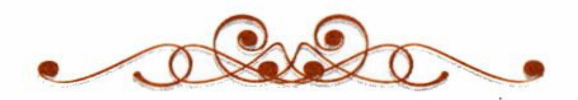
26 ليس الهدف قتل العساكر، الهدف الوصول إلى الملك، البعض يغفل عن تلك الحقيقة يظن أن المتعة تتحقق بجني مكاسب متتابعة.

الأمر مختلف في الشطرنج وفي الحياة، حيث كل مكاسبك الصغيرة هدفها الأهم والأخير الوصول إلى هدفك النهائي والكبير، **فلا تهمل النظر دائمًا إلى حيث يرقد الملك، ودع ذهنك يرسم خطط الوصول إليه.**





27 هناك حظ في الشطرنج... وهناك حظ في الحياة.





إلى اللقاء

نعم لقد انتهت الرحلة!

كلام جديد عن النجاح، والرقي، ومحاولة لتصويب المسار كي نحيا بشكل صحيح.

أعلم أنه ربما يكون مكررًا عند البعض، لكن التذكرة شيء مهم لنا جميعًا.

أحب قبل تركك أن أؤكد شيئًا مهمًّا...



وهو ما ذهب إليه عالم النفس الشهير «**ألفرد إدلر**» من أن:

كل إنسان يختلف في تركيبته عن الآخرين، وأنه من الظلم أن نُجمِل مشكلات «المرء» في مشكلات «الإنسان».

مما يعني أن الواحد منَّا يمتلك تركيبة شخصية فريدة من نوعها، تكونت عبر



سنوات عمره من خلال تنشئته وتربيته ومواقفه التي مر بها في حياته، وأن طريق التميز الذي نبغي جميعًا السير فيه يختلف كل منَّا في تحديده باختلاف المخزون الموجود فينا من خبرات ومواقف وقناعات، ويجب علينا حينما نخطط أن نراعي هذا جيدًا.

حيث الكلام المُعلَّب، والوصفات السريعة للنجاح والكبسولات المستوردة لن تغنينا شيئًا.

كل إنسان قارَّة غامضة، هو وحده المنوط باكتشاف حدودها، وتضاريسها وهو الذي يقرأ ويبحث ويجتهد، لكنه يجب أن يضع تصورًا خاصًّا به يتوافق مع طبيعته الخاصة.

يذهب **إدلر** في كتابه «**سيكولوجيتك في الحياة**»:

إلى أن المعرفة والفهم يجب أن يكونا هما الموجِّه لنا في حياتنا، شريطة أن تكون معرفة نافعة، كما أكد على أهمية أن تكون مُلِمًّا بدقائق حياتك وأسلوبك في الحياة وأن تتعامل مع نفسك تعاملًا يقظًا فيه تصالُح وتوافُق.

أؤمن بأهمية التنظير، أن نتدافع بالأفكار والأطروحات المختلفة ونزيد في تدافعنا حتى تُمطر هذه الأفكار ما يروي عطش الواحد منَّا ويتزود به في حياته ومستقبله، ولا يمكن لنا أن ننهض إلا بمخزون فكري كبير، بطبيعة

الحال سيكون فيه الجيد والرديء، لكن في النهاية العقول عندما تنشط تكون لديها الرؤية الناقدة الواعية التي تُحصِّنُها من الانخداع بالسيء من الأقوال والأفكار.

ومع إيماني العميق بأهمية التنظير والطرح الفكري إلا أنني أؤمن إيمانًا راسخًا أن الأفكار لن تحرِّك فينا أنملةً إلا إذا استلهمنا منها **خطط عمل، ودوافع إيجابية للانطلاق والحركة.**

لن يكفينا أن نعرف - مع ما للمعرفة من قوة - ولا يكفينا أن ننوي - مع ما للنية من أهمية - ولا يكفينا أن نتحدث، ونملأ الدنيا صخبًا وضجيجًا المهم: **أين موضعُ خطوِك؟!.**

تحكي الحكمة أنه كان هناك ثلاثة عصافير على الشجرة، قرر أحدهم أن يطير عاليًا.

والسؤال: كم عصفورًا بقي على الشجرة؟

والإجابة: ثلاثة عصافير.

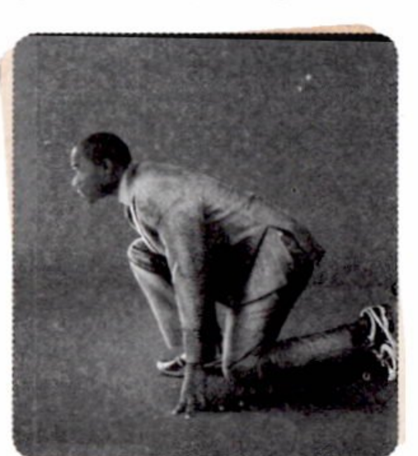
حيث النية لم تغير شيئًا، كلهم للناظر سواء.

ولذلك نبَّهنا ربُّنا - جلَّ اسمه - إلى أن العزم أمر مهم، والنية الطيبة يجب أن تكون حاضرة، لكن يجب أن تلحق بالنية الصالحة والعزم التليد أفعال تبرهن على صدقهما، حيث يقول ربنا سبحانه وتعالى: **«فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ»**.



دائماً ما يملؤني الأمل تجاه هذا الجيل، جيلي الذي جاء في أشد لحظات تاريخنا سوادًا وسوءًا فلم يضطرب، وقَبِلَ التحدي.

أنا أؤمن بك، أؤمن بك إلى أبعد حد.



بقي أن تؤمن أنت أيضًا بنفسك.

وصدقني يا صاحبي، أنت كفء لتحدي الحياة، وقادر - يقينًا - على كسب معركتك معها، بشرط أن تطوي هذا الكتاب، ثم تبدأ في فعل ما يجب عليك فعله.





ملحق التعقيبات والتأملات الشخصية:

ملحق التعقيبات والتأملات الشخصية:

ملحق التعقيبات والتأملات الشخصية:

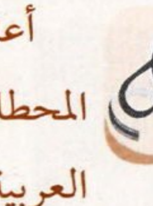
ملحق التعقيبات والتأملات الشخصية:



كريم الشاذلي

باحث في مجال العلوم الإنسانية، وكاتب ومُحاضر في مجال تنمية وتطوير الشخصية والعلاقات الأسرية.

له ما يقرب من 16 كتاب مطبوع، احتل معظمها قوائم الكتب الأكثر مبيعا في معارض الكتاب العربية، وتُرجمت بعضها إلى لغات غير العربية مثل الفرنسية الإندونيسية، الماليزية، الكردية، ومتوفرة جميعها بلغة «برايل» للمكفوفين .



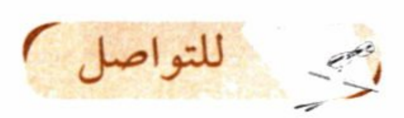
أعد وقدم برامج إذاعية وتلفزيونية على العديد من المحطات والإذاعات، وظهر كضيف على مُعظم القنوات العربية متحدثاً عن كتبه وأفكاره .

حاضر وتكلم في جميع الجامعات المصرية، وبعض الجامعات والمنتديات العربية .

ولد في محافظة الدقهلية في نوفمبر 1978 حصل على بكالوريوس الإعلام من جامعة القاهرة، متزوج وله من الأبناء مهند ومعتز .



يؤمن بأن الحياة لا تُعاش سوى مرة واحدة، وأن الأخطاء التي نرتكبها جزء أصيل من تلك الحياة، والتوبة والندم وتصحيح وتقويم النفس هما طوق النجاة الذي يلقيه الله لعبادة ليتخطوا به لحظات الضعف والانكسار.




www.facebook.com/karem.alshazley


www.twitter.com/#!/karim_alshazley


im@karimalshazley.com

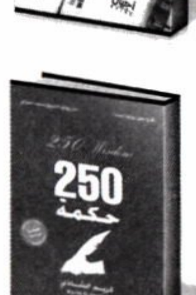
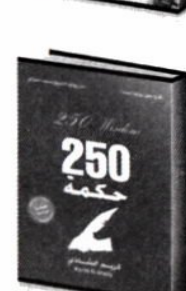

www.karimalshazley.com


www.youtube.com/user/darajial

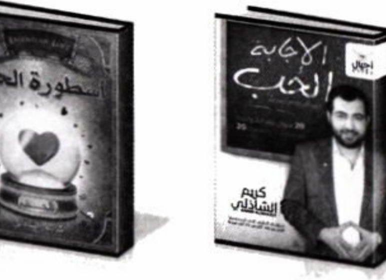
إصدارات





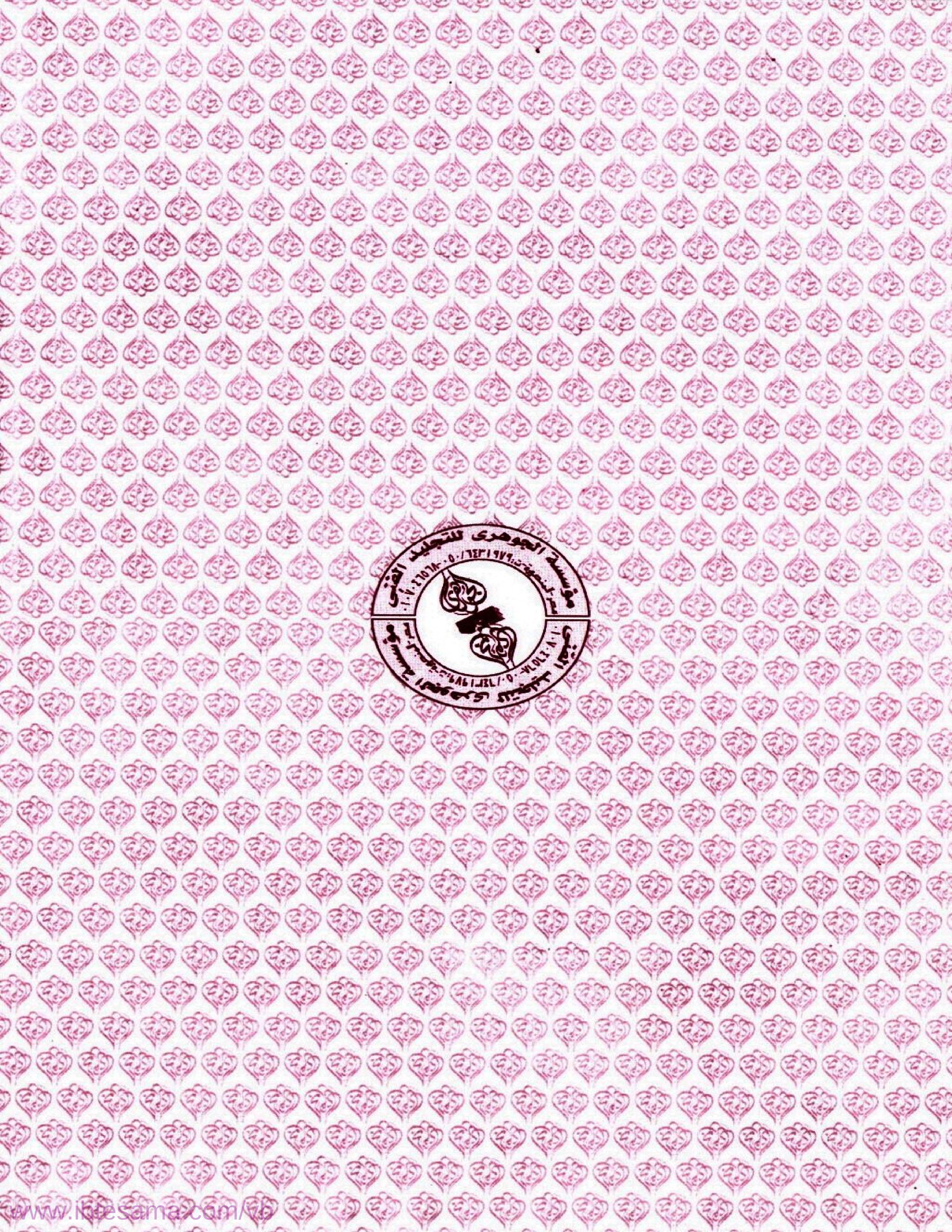


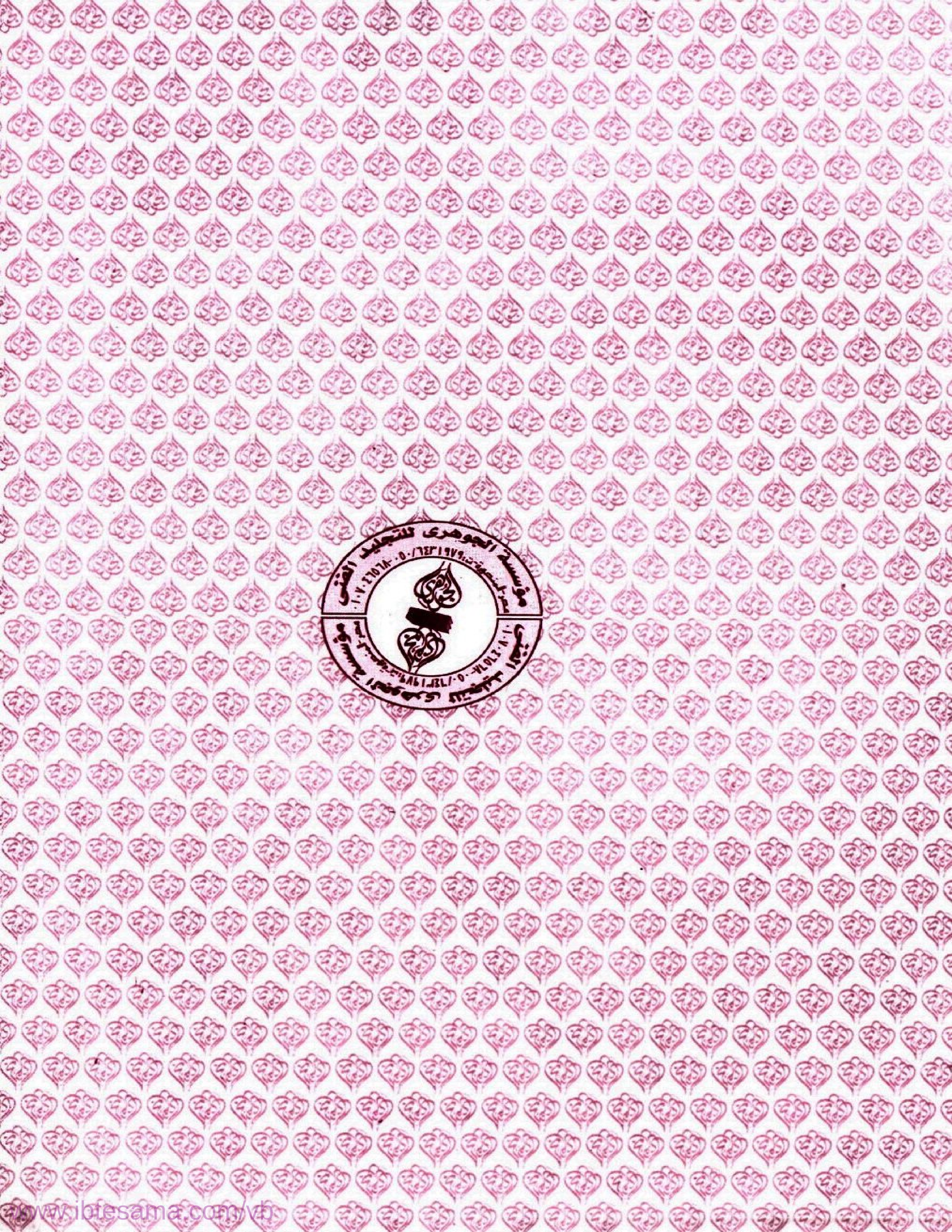








لمعرفة نقاط التوزيع واللغات المتوفر بها الكتب وكيفية حصولك عليها يمكنكم زيارة الموقع الشخصي للكاتب، أو موقع دار أجيال للنشر والتوزيع.


مؤسسة الجوهري للتجليد الفني
www.ibtesama.com/vb


مؤسسة الجوهري للتجليد الفني
www.ibtesama.com/vb



الحياة .. رقعة شطرنج

18 استراتيجية تصنع لك النصر في لعبة الحياة

لُعبة الشطرنج هذه، تتشابه كثيرًا مع لُعبة الحياة، فكلنا يمتلك القطع ذاتها، نتعامل وفق القوانين نفسها، لا نختار في الغالب خصومنا، كلنا بلا استثناء نلعب من أجل الفوز.

نخسر مع مرور الوقت بعض القطع، ونُحرز أيضًا بعض المكاسب.

نهاجم في أوقات، ندافع في أوقات أخرى.

كلنا قد نضحي ببعض الجنود، أقل قطع الشطرنج قيمة، كي نحقق مكسبًا استراتيجيًا ما.

كلنا نسمع تلك الكلمة الباعثة على التوتر، كشّ ملك! .

تلك التي تعني أن الخطر يدق باب احلامك وطموحاتك بل وربما باب حياتك.

وكلنا بلا استثناء نبذل جهدنا، للحفاظ على الملك.

ويبقى النصر محجوزاً في لعبتي "الشطرنج .. والحياة"، لمن يعرف ويطبق ويحترم .. قوانين اللعبة .

كريم الشاذلي
www.karimalshazley.com

ISPN 978 - 977 - 6277 - 53 - 3
9 789776 277533

دار أجيال للنشر والتوزيع
محمول : 01224242437 (2+)
www.dar-ajial.com

أجيال
AJIAL


Exclusive
For
www.ibtesama.com